جامعة عمار ثليجي–الأغوط-
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

فرع الفلسفة

مشروع السلام الدائم عند

ايمانويل كانط

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة
تخصص : فلسفة الحضارة

من اعداد الطلبة:
- مايدي ابراهيم
- قديم قدور

اشراف الاستاذ:
- بن عطية عطية؛

السنة الجامعية: 2016/2015

إهداء

إلى نور حياتي إلى شمعة التي أضاءت حياتي

إلى من تملئ البيت بالفرح والأمان والسرور

إلى من هي كلماتها تطيب النفوس وتمحي الهموم إلى أحسن كلمة ينطقها اللسان إلى "أمي الغالية حفظها الله"

إلى مثلي في الحياة و مصدر فخري واعتزازي

إلى الذي طالما انتظر وتمنى نجاحي واعتبره نجاحا له إلى "أبي الفاضل رعاه الله"

إلى من أكن أهم الحب والتقدير إلى السواعد القوية التي تساعدني أوقات المحن

إلى من أعطوني معنى الحياة إلى كل إخوتي وأخواتي

إلى جميع أهلي وأقاربي والى كل الزملاء في الجامعة

قدور ، إبراهيم

شكر و عرفان

الحمد و الشكر لله تعالى، الذي هدانا لطاعته، و أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا العمل المتواضع

و استناد لقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

فا ننني أتقدم بأسمى التقدير و الاحترام و العرفان للأستاذ المشرف وكل من ساهم في هذا العمل.

مقدمة

مقدمة

تعد فكرة السلام فكرة قديمة اتجه إليها حكماء العصور الغابرة وحمل لواءها العديد من الفلاسفة منذ القرن الثالث قبل الميلاد,حين أهابوا بالإنسانية أن تحرر نفسها مما يفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان من فروق اللغات والأديان والأوطان ونظرو الى الناس جميعا وكأنهم أسرة واحدة قانونها العقل ودستورها الأخلاق ,غير أن الفيلسوف الألماني "كانط" كان أكثر الفلاسفة عناية بمسالة السلم وله أراء طريفة جدا في مسائل الحقوق الدولية وفي فلسفة التاريخ ,وهذا ما يحاول "كانط "إيضاحه في كتابه "مشروع السلام الدائم"فصاغه إلى مواد محددة بسط فيها الشروط الضرورية التي تجعل إنهاء الحرب أمرا ممكننا كما أنها تبقى مهمة الفيلسوف، لذا فإن القارئ للفكر الفلسفي وللوهلة الأولى يكتشف ذلك التعدد والمسعى النبيل الذي حمل لواءه هذا الفكر ونظر له عبر حضارته المتعاقبة وتكمن من خلال النفاذ إلى الجواهر والأعماق والاتصال بالكون وشارك هذا الفكر الشعراء والفانين والأبطال والأنبياء والقدسيين في نقطة رئيسية هي نقطة الارتباط الشامل بالإنسان من حيث هو مركز ومصدر أي توجه معرفي وخاصة ما يتعلق بمتطلباته والتي يعد السلام الدائم أبرزها.

وانطلاقا من أهمية هذا البحث ولزوميته في ترسيخ وبلورة إبعاد المشكلة للكيان الإنساني على اختلافاتها سعى الكثير من دعاة السلام والمتعطشين لبلوغه إلى طرح تصوراتهم ومشاريعهم بناءا على منطلقات وإيديولوجيات مختلفة.

ولعل أن هذه الأخيرة كانت لنا بمثابة حافز للغوص والبحث عن مثل هذه المسائل والكشف عن آراء وتصورات الفلاسفة الذين كان لهم إسهام في ذلك .

وبعد إختيارنا لهذا الموضوع والذي يتعلق بمشروع السلام الدائم عند كانط حاولنا تقسيمه إلى ثلاثة فصول تطرقنا في الفصل الأول منه إلى تحديد بعض المفاهيم وبما أن مشروع كانط السلمي نموذج لبحثنا فكان يتوجب علينا أولا استعراض فكرة السلام عند بعض فلاسفة العصر القديم وخاصة منهم اليونانيين محاولين في ذلك البحث عن روابط الصلة والتدرج لذا انتقلنا إلى

إسهامات الفلاسفة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر باحثين في ذلك عن تاثير في الثورات التنويرية على مثل هذه المشاريع اما في الفصل الثاني والذي يعتبر اهم نقطة في موضوع بحثنا فتعرضنا فيه الى مشروع كانط السلمي من خلال الخلفية التاريخية وكذا الى الشروط التمهدية والنهائية الكفيلة لتحقيق السلام اما في الفصل الثالث ارتأينا الوقوف عند الاقتراحات التي وضعها كانط لضمان السلام والمادة السرية التي اقرها في مشروعه ثم الى العلاقة التي تجمع بين السلام والاخلاق في الفلسفة الكانطية محاولين الوقوف عند مدى تحقيق هذا المشروع واثره في الفلسفة المعاصرة.

وذلك باختيارنا لشخصية ذاع صيتها وكان لها إسهام كبير في تاريخ الفكر الفلسفي وهو الفيلسوف بيرتراند راسل الذي كانت له تصورات وأراء لكيفية تحقيق السلام فكان الأجدر بنا الوقوف عند مقاربات نقدية لفكرة السلام عند "كانط وبيرتراند راسل وهذا ما يدفع بنا الى طرح جملة من التساؤلات ما هي المبادئ التي اقرها كانط في مشروعه لتحقيق السلام الدائم؟ وهل مشروعه عن السلام مجرد أوهام وأحلام؟ أم هو تطبيق وتحقيق وما مدى تحققه؟ وما هي أهم المواقف الفلسفية التي كانت تتماشى مع أراء كانط خاصة ما كان منها في الفلسفة المعاصرة؟

للإجابة على هذه الإشكاليات اعتمدنا على المنهج التحليلي لأنه الأنسب لمثل هذه المواضيع التي تستدعي الوقوف عند مفاهيمها وتحليل الجزئيات منها ومن المعطيات التي دفعت بنا لاختيار هذا المنهج كون النموذج المراد دراسته يتعلق بالفيلسوف كانط الذي يمثل كتابه مشروع السلام الدائم قاعدة للتحليل استخلاص الرسالة التي أراد كانط تبليغها

كما أن هناك دوافع عدة أدت بنا لاختيار هذا الموضوع ولعل من أهمها :

– الميل الشخصي للمواضيع التي تمس الكيان الإنساني بالإضافة إلى محاولة الأعمال الفلسفية التي تطرح السلام من جانبها الإنساني

– ما يحدث في الدول العربية مؤخرا من صراعات وصدامات وحروب داخلية وما يحيط بوطننا

من أزمات أمنية في الدول المجاورة

– ظهور أصوات فردية وجماعية تنادي بضرورة تجسيد ثقافة السلام

– إيماننا القوي والراسخ بالفطرة الإنسانية الخيرة وجنوحها نحو السلام

وفي الأخير حاولنا الوصول إلى حوصلة:

نقول فيها أن كانط يكون بذلك قد فتح قارة جديدة، وهي قارة الإنسانية التواصلية، على اعتبار أن مشكلات الإنسان يمكن حلها برجوع القهرى إلى طبيعة الإنسان الخيّرة، والتي تنشد النبل والخير.

إن هذه الثقة المفرطة في إنسانية الإنسان، والأمل الكبير في تخليص البشرية من عنائها الأكبر –ألا وهو الحرب والصراع– تجعل من كانط يقف في وجه أطروحات الفلاسفة والمفكرين الذين أرادوا تكريس الفكر التراتبي، والرؤية المركزية، والبعد الأيديولوجي، بدءًا من فلسفة "لايبنتز" و"نيتشه" التي أقرّت بأن حالة السّلم هي دائمًا خطوة جديدة نحو حرب آتية لا محالة، وصولاً إلى أطروحات المعاصرين، أمثال: "صموئيل هينتيغتون" و"فرانسيس فوكو ياما"، والتي حملت رؤية سوداوية عن التاريخ الإنساني ومصيره أيضا كما قد اعتمدنا اثناء انجاز هذا البحث على مجموعة من المراجع والدراسات السابقة التي تصب في موضوعنا وفي الأخير نرجو السداد والتوفيق.

خطة البحث

خطة البحث

الفصل الأول : كانط وثقافة السلام

المبحث الأول: عرض موجز لحياة كانط

-المطلب الأول : النشأة والتكوين

-المطلب الثاني: أشهر آراء كانط الفلسفية ومؤلفاته

المبحث الثاني: في تحديد المفهومين

-المطلب الأول: لغة

-المطلب الثاني: اصطلاحا وعند بعض المفكرين

المحبث الثالث: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي

-المطلب الأول: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي اليوناني

-المطلب الثاني: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي الحديث

الفصل الثاني: السلام عند كانط

المبحث الأول: السلام في فلسفة كانط

-المطلب الأول: مفهوم السلام عند كانط من خلال مشروعه

-المطلب الثاني: نحو السلام الدائم

المبحث الثاني: السلام الدائم

-المطلب الأول: كيفية ضمان السلام الدائم في نظر كانط

-المطلب الثاني: تقييم المشروع الكانطي

الفصل الثالث : برتراند راسل وتجاوز فكرة السلام الكانطي

المبحث الأول : الدعوة الى السلام عند "برتراند راسل"

-المطلب الأول: نشأة مؤسسة السلام عند "برتراند راسل

-المطلب الثاني: المنظمة الدعائية الرئيسية لأنصار السلام

المبحث الثاني: مقاربات نقدية لفكرة السلام عند "برتراندراسل" و"ايمانويل كانط"

-المطلب الأول : نقد فكرة السلام عند "برتراند راسل "

-المطلب الثاني: نقد فكرة السلام عند "ايمانويل كانط "

خاتمـــــــــــــة

الفصل الأول:

كانط وثقافة السلام

المبحث الأول: عرض موجز لحياة كانط

المطلب الأول : نشأته ومكونات ثقافته

ولد "**ايمانويل كانط**" في مدينة كونج زبرج "في الثاني والعشرين من شهر أفريل عام 1724 وكان الطفل الرابع لأبويه، قد بلغ عدد إخوته وأخواته تسعا، لم يكن أبوه ذا ثقافة تذكر أما والدته فكانت شديدة التدين والحماسة الدينية.

وفي تربيته كان والده حريصاً على بث روح الاجتهاد والشرف في نفسيته وخصوصا تجنب الكذب، بينما كانت أمه حريصة على بث روح التقوى الدينية فأتمت في نفسيته نزعة أخلاقية متشددة مما سيظهر أثره في سلوكه وفي مبادئ الأخلاق التي عرضها في كتابه "نقد العقل العملي" حيث يقول في هذا الصدد : "لم أسمع أبدا ، ولا مرة واحدة من والداي شيء غير مهذب أو غير لائق"[1]، توفيت والدة كانط وهو في سن الثالثة عشر.

قضى ثمانية سنوات بالمدرسة وحصل بعدها على شهادة الثانوية، التحق بعد ذلك بالجامعة في بلدته كونج زبرج" فدرس الكلاسيكيات الرومانية ، الأدب اللاتيني، وحضر دروس الفلسفة والرياضيات والفيزياء وعلم أصول الدين.

ولما تخرج كانط من الجامعة اضطرته الظروف المالية أن يعمل معلماً خصوصياً عند بعض الأثرياء والنبلاء ، ولما أشرف كانط على الثلاثين قرر أن يتفرغ للدراسة الجامعية العالية، فحضر لشهادة الماجستير، وحصل عليها في الثاني عشر يونيو عام 1755 وكان موضوعها يتمحور حول "مهمة الفلسفة اليسيرة والعميقة" وبدأ بعد ذلك محاضراته في المنطق ، والميتافيزيقا ، الفيزياء، والرياضيات، وذلك على طريقة الجامعة الألمانية" .

1-عبد الرحمن بدوي: إيمانويل كانط، وكالة المطبوعات ، الكويت، الطبعة الأولى، 1977 ، ص 08.

والى جانب ذلك ، كان يلقي محضاراته في القانون الطبيعي، علم الأخلاق اللاهوت الطبيعي علم الانسان ، والجغرافيا الطبيعية، ورغم نجاح كانط الهائل في التدريس فقد بقي فيه خمسة عشر سنة كمدرس، رغم محاولاته العديدة ليكون أستاذا وقد تحقق له ذلك في الواحد والثلاثين من شهر مارس عام 1770 وأصبح أستاذ كرسي في المنطق.

وشغل بعد ذلك عدة مناصب مختلفة فقد أصبح سنة 1780 عضوا في مجلس الشيوخ الاكاديمي ، وفي السابع ديسمبر 1780 صار عضوا في الاكاديمية الملكية للعلوم في برلين ، وفي سنة 1786 صار مديراً للجامعة طوال هذه المدة ظل كانط أستاذاً للمنطق والميتافيزيقا حتى الثالث والعشرين يوليو 1796 حتى آخر محاضراته في المنطق ليقدم بعد ذلك استعفاءه من مجلس الجامعة في الرابع عشر نوفمبر 1801 وذلك تحت وطأة الضعف والشيخوخة[1].

توفي كانط عام 1804 عن عمر يناهز ثمانين سنة وشيع جنازته جمع كبير من الناس، وأطلق على الطريق التي كان يسلكها في نزهته اليومية منذ ذلك الحين اسم "نزهة الفيلسوف" ونقش في قبره تلك العبارة التي وردت في خاتمة كتابه "نقد العقل العملي" والتي يقول فيها كانط : "شيآن يملأن قلبي إعجاباً ورهبة، متجددين ونامين على الدوام كلما ازداد انشغال الفكر بهما، وهما السماء المزدانة بالنجوم فوقي والقانون الأخلاقي في أعماق قلبي"[2].

أما إذا أردنا التعرض إلى ثقافة كانط، فهو يقول عن نفسه :"لقد رسمت لنفسي طريقاً وقررت أن التزم بها، وسأسلك هذا الطريق حتى النهاية غير عابئ بما تعترض طريقي من عقبات"[3].

من خلال هذا كانت حياة كانط من الناحية الظاهرية حياة تتسم بالبساطة وتخلو من الأحداث الهامة، وجاءت ثقافته انعكاسا لتنشئته التي تمزيت بطابعها الديني الذي تلقاه عن والديه حيث يقول عن والدته :"أنها غرست في نفسه البذور الأولى للخير وعملت على تنميتها ، ولقد كانت

1-عبد الرحمن بدوي: مرجع سابق ،ص13.

2-محمد حمدي أقرون: دراسات في الفلسفة الحديثة ، دار الفكر العربي، ط2 1993 -ص191.

3- توماس هنري: أعلام الفلسفة الحديثة ، ترجمة هنري أمين، القاهرة ط1، 1964 -ص277.

لنصائحها وإرشاداتها تأثير مفيد ودائم على حياته"[1].

المطلب الثاني: أشهر آرائه الفلسفية ومؤلفاته

كانت فلسفة كانط ولازالت تدل على صاحبها ذو عقلية فلسفية فذة ، ومن الذين يستمر تأثيرهم منجبا خصيباً ، ومن الذين تدفع دراستهم الفكر الشخصي على نحو لا يحققه فكر أي فيلسوف آخر، وهو في الواقع لا يختم بحوثه ولكن آثاره تجنب إمكانيات فكر لا تنضب، وتجذب فكر آخر إليها، وتوجهنا إلى المضي قدماً، ولكن هذا لا يعني تجاوز الأصل ولا التفوق عليه، وفي هذا الإطار يقول عنه "كارل ياسبرس" :"أنه من الذين أسسوا الفلسفة ولا زالوا ينجبونها"[2] .

إن المدخل إلى فلسفة كانط من الأمور البالغة الصعوبة وذلك راجع الى بعد فكر كانط وأصالته وقوته وعمقه عن فكر الحياة اليومية لذلك، "يجب عند القراءة لكانط قراءة كانط نفسه لأنه لم يعمد فيما كتب إلى السهولة والوضوح"[3].

وتعتبر آراء كانط وفلسفته نقطة تحول هامة في تاريخ الفلسفة الحديثة بصفة خاصة والفكر الفلسفي بصفة عامة، إذ مثلت فلسفته النقدية، أبعاد كل من العقلانية الديكارتية والتجريبية الانجليزية المستندة إلى العالم الرياضي كأساس واحد لباقي العلوم ومنها الميتافيزيقا إلى المشروع النقدي الابستمولوجي، والشيء الأخير الذي يجب أن نشير اليه هو أن معظم آراء كانط تتجه نحو إشكاليات الميتافيزيقا، الأخلاق، العقل ، الدين، الأنتروبولوجيا ، والسياسة...[4].

وكلها كانت انعكاساً للتربية الدينية التي تلقاها في شبابه وحياته التي يسودها "الشعور بالواجب من أجل الواجب في حد ذاته" ورفضه لقوى الأنانية وعبادة اللذة وجرأته الكبيرة في الدعوة إلى الحرية والديمقراطية واحترام الإنسان .

1- **محمد حمدي أقرون: مرجع سابق ،ص189.**

2-**كارل ياسبرس : فلاسفة إنسانيون ،ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات ، الطبعة الأولى1975 -ص85-86.**

3- **محمد حمدي أقرون: مرجع سابق، ص 194.**

4- **محمد حمدي أقرون: المرجع نفسه ،ص196.**

قلنا فيما سبق أن فلسفة كانط تنقسم إلى مرحلتين: المرحلة ما قبل النقدية والنقدية، وهاتين المرحلتين كانتا تلخيصاً واضحا لمجمل آراءه وأفكاره الفلسفية.

فالمرحلة ما قبل النقدية ما قبل اهتم فيها بالجانب العلمي المعرفي والتاريخ الطبيعي العام ونظريات تتعلق بالكون، وسبق في هذه النظريات فكرة "لابلاس عن السديم".

أما المرحلة الثانية أي المرحلة النقدية فقد تناول فيها مشكلة المعرفة والجانب النظري للعقل البشري محاولاً البحث عن أسس وحدود هذا العقل، وتناول المشكلة الأخلاقية وتعرض فيها إلى فكرة الواجب والإرادة، وحاول تحقيق الانسجام بين المشكلة المعرفية والأخلاقية.

أما إذا أردنا التعرض إلى مؤلفات كانط التي انعكست من خلالها أفكاره وآراءه الفلسفية فهي الأخرى انقسمت إلى قسمين وتوضحت من خلالها المرحلتين ما قبل النقدية والنقدية التي مر بها كانط.

ويجمع أغلب الفلاسفة والمفكرين والباحثين في فلسفة كانط على أنه من أواخر الفلاسفة الموسوعيين إلى جانب فيلسوف المثالية "هيجل" وقد تميزت المرحلة التي سبقت توجهه للفلسفة النقدية بدراسة الطبيعيات والطب والفلك وعلى سبيل المثال لا الحصر يميز بحثه في السؤال الذي وضعته الأكاديمية الملكية للعلوم في برلين حول مسألة دوران الأرض وهل طرأ عليها تغير منذ زمان نشأتها، وما أسباب ذلك؟ وكان هذا في سنة 1754م [1]، وفي هذه السنة برز أول أثر لكانط في نظرية المعرفة من خلال كتابه "إيضاح جديد للمبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية"[2] وفي سنة 1755م قام كانط بإعداد بحث فيزيائي تحت عنوان "التاريخ الطبيعي للسماء ونظرياتها" ويتضمن موضوعه بحث في تركيب بناء العالم كله وأصله الميكانيكي وفقا لمبادئ نيوتن".

1-عبد الرحمن بدوي :إيمانويل كانط ،مرجع سابق،ص14-15.

2- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية ،الجزء الثاني المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ،الطبعة الأولى 1984 - ص270.

ومن أهم مؤلفاته التي كتبها بين عامي 1762م-1763م في الميتافيزيقا والأخلاق نميز: "بحث في وضوح مبادئ اللاهوت الطبيعي والأخلاق" كتبه سنة 1763م وكذا كتاب "البرهان الممكن الوحيد لإثبات وجود الله كتبه سنة 1763م، وفي مجال أبحاثه الطبية من أشهر مؤلفاته "بحث في أمراض العقل كتبه سنة1774م.

ولعلّ ما سبق ذكره من مؤلفات ماهو إلا عينة بسيطة من مؤلفات كانط التي يزيد عددها ما يربو عن الستين مؤلفاً ، ونظرا لتعدد الفروع العلمية والفكرية التي تناول مواضيعها بالدراسة والتحليل والتي لامجال لنا لحصرها جميعاً لذا سنكتفي بذكر أهم مؤلفاته في المرحلة النقدية بما فيها ثالوثيه النقد وأول هذه المؤلفات حسب تاريخ ظهورها نقد العقل الخالص" ونشر في طبعته الأولى سنة 1781م.

ويعتبر من أهم كتب كانط على الإطلاق وأساس مشروعه الفلسفي النقدي، وقد بين فيه كانط إلى أي حد تتطابق معاني العقل ومدركات الحس وما العلاقة القائمة بينهما[1] ، ومعنى نقد العقل هو الفحص عن قدرة العقل بوجه عام فيما يتعلق بكل المعارف التي يطمح إلى تحصيلها مستقلاً عن كل تجربة ، وكلمة خالص أو محض يقصد بها العقل الذي يفكر غير مستعين بالتجربة والخالي من المراقبة أي العقل الذي يعتمد على ذاته[2].

"مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة" :ونشر في سنة 1783م وهو عبارة عن تبسيط للقضايا المطروحة في كتاب "نقد العقل الخالص" .

"أسس ميتافيزيقا الأخلاق": نشر سنة 1785م وكان بمثابة التمهيد لمؤلفه الأخلاقي الأهم "نقد العقل العملي" حيث استفاد منه كانط باعتباره تجربته الأولى.

1- كانط: مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ترجمة نازلي اسماعيل ومحمد فتحي الشنيطي، تقديم عمر مهيبل، دار موفم للنشر 1991 -ص3-4.

2- عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق ،ص272-273.

"نقد العقل العملي": ونشر سنة 1788م وخلاصته أن الفلسفة الأخلاقية لا تقوم على التجربة الظاهرة وعلى بواطن الحس، بل تقوم على العقل وحده فهو مصدر الواجب الذي هو بدوره أساس الأخلاق.

"نقد ملكة الحكم": نسر سنة 1790 م فهو بمثابة حلقة الوصل بين العقل النظري والعملي حيث حاول كانط البحث عن قوة ثالثة تحقق الانسجام بين العقل والإرادة بين الطبيعة وقوانينها ، الحرية ومقتضياتها فهو كتاب في فلسفة الجمال والغائية.

"الدين في حدود العقل": نشر في سنة 1793م فهو عبارة عن أربعة مقالات يعيد من خلالها بناء الدين على أساس عقلي وتفسيره على ضوء الضرورة الأخلاقية.

"مشروع السلام الدائم": نشر سنة 1795م ويوضح من خلاله كانط الشروط الواجب توفرها لبلوغ السلام الدائم بين الأمم والدول.

المبحث الثاني: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للسلام

المطلب الأول:التحديد اللغوي

السلم: كلمة مرادفة ومشتقة من السلام، ويقال السلام والمسالم أو قوم سلم أي مسالمون ، ويقال "أنا سلم لمن سالمني وحرب لمن حاربني...أي أسالم من سالمني وأحارب من حاربني"[1].

ويقال أيضا سلم أي سلم عليه وقال له "سلام عليك" وسالمه صالحه ويقال سلم أي اطمئن وسكن قلبه[2].

ويقال السلام: وهو اسم من التسليم ، والآية "السلام على من اتبع الهدى" سورة طه الآية 46 أي من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه.

وكلمة السلام اسم من أسماء الله تعالى الحسنى لسلامته من النقص والعيب والفناء.

والسلامة مصدر البراءة من العيوب والآفات، ويقال سلم فلان من عيب أو آفة أي نجا منها ومنه السلام وهو تجرد النفس من المحنة عن الدارين (تعريفات الجرجاني).

والسلامة هي الخلاص والنجاة ولها معنيان:

الأول عام؛ وهو النجاة من آفة أو مهلكة.

الثاني خاص؛ وهو النجاة من عذاب الجحيم وإدراك السعادة الأبدية.

1-المنجد في اللغة والأعلام: الطبعة الثلاثون، دار المشرق بيروت 1988 -ص347.

2- المرجع نفسه، ص348.

المطلب الثاني: التحديد الاصطلاحي

إن المفهوم الاصطلاحي للسلام مبحث قديم ضارب بجذوره في أعماق التاريخ البشري ، فقد أنشدته الإنسانية وناضلت من أجله وسعت إلى تحقيقه طوال فتراته الحضارية ، وأول ما يلاحظه الدارس والمتأمل في هذا المصطلح هو التعدد والتراكم الكبير في مفهومه وهذا راجع من جهة اختلاف القناعات والمرجعيات الفكرية والإيديولوجية ، ومن جهة أخرى إلى طبيعة مصطلح السلام نفسه حيث يتميز بعلاقاته التداخلية والتكاملية مع جميع النواحي الفكر الإنساني وممارساته وأبعاده ، فالسلام اتجاه يرمي إلى مقاومة ظاهرة الحرب والعنف في العلاقات البشرية والدولية وتحقيق الجمع الإنساني الذي يسوده السلام والايخاء والمحبة، وهو أيضا ذلك التآلف بين الاتصالات النظامية الهادئة بدون عنف بين الدول أو في الدولة نفسها وفي المجتمع الاجتماعي أنه يعبر عن دولة الضمير التي تعيش بالقانون.

أما إذ حاولنا تقديم نماذج عن مفهوم السلام فلابد لنا من استعراض التاريخ الإنساني كله لأننا قلنا فيما سبق أن فكرة السلام فكرة قديمة قدم الفكر الإنساني فبالتالي سنحاول الوقوف عند أهم مفاهيم السلام وأشهرها:

فالسلام مثلا عند "**فولتير**" مرتبط بالأخلاق والعلاقات بين الناس عنده مبنية على سعادة كل فرد في المجتمع وعلى التسامح والعدل ونبذ كل أنواع التعصب وتوفير الحرية السياسية والفكرية.

وقد طالب "فولتير" الحكام بتهدئة المنازعات الدينية التي تعكر صفو السلام الاجتماعي "إن التجار والصناع ورجال الدين والجنود جميعا وبدرجة متساوية أعضاء في الدولة"[1] ،"وقد تحقق نداء فولتير" في المادة الأولى من إعلان حقوق الإنسان، إذ تقول هذه المادة :"يولد الناس ويبقون أحرار ومتساوين أمام القانون"[2].

1، 2 عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق ،ص207.

أما "توماس هوبز"فالسلام عنده هو التخلص من الحياة الطبيعية عن طريق اهتداء الناس بعقولهم ومشاعرهم إلى ضرورة الاتفاق فيما بينهم أي بعقد اجتماعي يضع نهاية للعصر الطبيعي "إن انفعالات الخوف والرغبة في الحصول على ضروريات الحياة الملائمة هي التي تدفع البشر نحو السلام... والعقل هو من يرشدهم إلى شروط السلام"[1].

وحتى"اسبينوزا" كان له تصوره الخاص للسلام فقد ربطه بفكرته عن السلم المدني" التي يرى فيها إنهاء الحزن والقلق الذي ينتاب الإنسان في الحياة الطبيعية والانتقال إلى الحالة المدنية التي تجعل السلام الحقيقي عندما يكون الأفراد أحرار في تفكيرهم وتعبيرهم وذلك في ظل النظام الديمقراطي" لأن الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة أو إرهاب الناس... بل تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش في سلام وأمان"[2].

ومن المفاهيم الأخرى للسلام نجد مفهوم "جون بول سارتر" حيث يربط هذا الأخير للسلام بالحرية، فتحرير الشعوب من المظالم والقيود هوالضمان الوحيد حيث يقول :"نحن نريد أن نضمن السلام من خلال الحرية، ونعيد للشعوب حريتها من خلال السلام"[3].

ويضاف إلى هذا الموقف "كارل ياسبرس" وهو الأخير يقيم السلام على توفر الحرية والحق "فالسلام يبدأ داخل بيت كل إنسان ويبنى هذا السلام على الحرية إن السلام الباطني والخارجي لايكون مكفولا ومضمونا إلا على أساس الحرية الوجودية للأفراد جميعا، وإذا بدأ بالفرد فإن الحرية تتجسد في حكومة جمهورية تدافع على حقوق الشعوب[4].

1-محمود محمد ربيع: الفكر السياسي الغربي فلسفاته ومناهجه من أفلاطون الى ماركس ، مطبوعات جامعة الكويت 1994، ص225.

2-باروخ اسبنوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط1 1971 ، ص447.

3-المجلس العالمي للسلام،هيلسنكي" ملحق العدد، 50-51، مجلة هواريوزنس، أغسطس 1955 ، ص08.

4-مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة بالاتحاد السوفيتي: مشكلة الحرب والسلام ، ترجمة شوقي جلال وسعد رحيمي،دار الثقافة الجديدة 1976 ، ص104.

بالإضافة إلى هؤلاء نجد أيضا"جوست أ.م.ميرلو" الذي يرى أن "السلام فكرة والحرب تفريغ فالسلام يستدعي اعتباراً دقيقاً وحكمة والسلام هو استخدام قوى العقل في صهر الوسائل الأساسية ، والسلام يبدأ في تكوين التسامح الإنساني ومن الوجهة التربوية يتحقق السلام من خلال إرضاع كل طفل الإحساسات البناءة نحو السلام"[1].

أما "أوغسطين" فكان وفيا لتعاليم المسيحية وجاء مفهومه للسلام بناءا على فكرة الخطيئة وحب الله إذ لايقوم السلام في نظره على مجرد غياب الصراع المسلح.

ولكن النظام السلمي تكون فيه "مدينة الله" بالنسبة إليه هي مدينة السلام فإدراك السعادة الأبدية هو النجاة من الخطيئة ومن العذاب اللازم عنها والنجاة من اللعنة بواسطة الفادي أو المخلص.

وما دمنا نتحدث عن مفهوم السلام فالفكر الإسلامي هو الآخر كانت له آراءه المتميزة ومن بينهم نجد:

*أبو نصر الفارابي" فيلسوف الإسلام دعا إلى السلام في كتابه "آراء المدينة الفاضلة" إذ جعل السلام مرتبط بالسعادة التي يسعى أهل المدينة إلى بلوغها والحفاظ عليها وبالتالي هو غاية إنسانية فاضلة يكفله ويضمنه تعاون واجتماع أهل هذه المدينة التي يحميها رئيس فاضل محب للكرامة والصدق والعدل والسلام.

أما الشيخ "محمد عبده" في تعريفه للسلام انطلق من طبيعة الدين الإسلامي إذ يقول :"ليس القتل في طبيعة الإسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة" ، ومن مظاهر السلم في الإسلام حرية المعتقد وممارسة شعائر الأديان الأخرى، والنهي عن مقاطعة ذوي القربى من المشركين"[2].

كما تناول "السيد قطب" مفهوم السلام في كتابه "الإسلام والسلام العالمي" ورأى أن السلام يتحقق بتضافر عناصر مختلفة وهي العنصر الديني ودوره في سلامة الضمير البشري وعنصر

1-ميرلو بونتي : ذلك السلام الصعب ترجمته ونشرته دار اليقظة العربية، دمشق 1963 ،ص210.

2-محمد عبده: الاسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، قدمه برهان غليون ، دار موفم للنشر الجزائر ط2 1990 ،ص58.

العلاقات الاجتماعية والشريعة في قيام السلام الاجتماعي.

وأكد أن عملية إنهاء التناقضات والصراعات في العالم يتطلب غرس عنصر السلام في جذور النفوس الشريرة ، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى فكرة "مالك بن نبي" "عن السلام" إذ يرى أن السلام هو إحداث التغيير الاجتماعي والثقافي والتربوي والأخلاقي بهدف بلوغ مرحلة الحضارة وتحقيق السلام والاستقرار".

ونستنتج من خلال كل هذا أنه ورغم اختلاف التعاريف ووجهات نظر هؤلاء الفلاسفة حول مفهوم السلام إلا أنهم ينصبون في تعريف واحد كامل وشامل ألا وهو أن السلام قيمة عليا تسعى كل المجتمعات والشعوب إلى بلوغها" .

المحبث الثالث: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي عموما

المطلب الأول: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي قبل الميلاد

يقول"**كارل ياسبرس**" يجب على الفيلسوف أن لا يكون عاجزاً عن أن يظل مكتوف الأيدي حيال العمل القومي أو الديني الذي يهدد القيم الإنسانية ، إن سكوته يعد جبناً وخمولاً وأنانية ، ليست مريخية أو زحلية، هي إنسانيتي وإنسانيتك وإنسانيته هي إنسانية تعيش فيها الرضا، هي أنا بآلامي وهو بآلامه فعندما يتعرض السلام في العالم للانهيار وتتعرض الإنسانية فتتعرض كذلك الحقيقة للانهيار، ولذا تفقد الفلسفة عينها فتصبح كل قيمة مريضة...[1]"، ولعلّ هذا التوجيه الإنساني من المهام النبيلة للفلسفة ودورها التأملي نحو السلام، قد جسده منذ أقدم العصور علماء الفكر ودعاة الإصلاح ورجال القانون وبحثوا عن السبل الكفيلة والوسائل الممكنة لتحقيق السلام والأمان فكانت البلديات مع الرومان واليونان "فلقد كان الكلبين والرواقيون" من دعاة النزعة الكونية وعلى أسس عالمية وشمولية الجنس البشري"[2]، فنظروا إلى الناس جميعا في إطار أسرة واحدة، ناشدوا الإنسانية أن تحرر نفسها واحدة مما يفرق بين الأخ وأخيه من فروق اللغات والأديان والأجناس، واعتبروا البشرية واحدة يسود فيها العقل قانوناً والأخلاق دستوراً، وقد ربط الرواقيون السعادة بالمعرفة وجاءت تعاليمهم رابطة بين الله والإنسان لكونهما يتمتعان بالعقلانية وكل إنسان لديه هذه الشرارة المقدسة من العقلانية.

إذن فالبشر أبناء الله ولذلك هم إخوة فيجب أن يتحدوا في دولة عالمية وذلك نظراً لتساويهم في امتلاك العقل[3]. وبالتالي فالمبادئ التي نشرتها الفلسفات القديمة قبل الميلاد حول السلام والدولة

1-كارل ياسبرس: القنبلة الذرية ومصير الانسان ، قدم له الحاج كمال يوسف منشورات عويدات بيروت ، ط1 1959، ص28.

2-جرانفيك كلارك: مشروع جديد للسلم العالمي، ترجمة محمد الشنيطي ، دار المعرفة ط1 القاهرة 1961 ،ص09.

3-محمود محمد ربيع: مرجع سابق ،ص98.

العالمية والعدالة الطبيعية وصفة المواطن العالمي، كلها مفاهيم ومصطلحات تحمل مضامين أخلاقية أكثر منها قانونية[1].

المطلب الثاني: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي بين القرنين 16م-18م

إن النضال من أجل السلم وتحقيق السلام العالمي الدائم بين الأمم والشعوب يعد معياراً من معايير الإنسانية ومطلبا سعى الكثير إلى تحقيقه كل حسب طريقته و وفق تصوراته المبنية على أسس ومرجعيات معينة، ويمكن ملاحظة هذا مع بداية القرن السادس عشر؛ حيث بدأ المفكرون في معالجة مشكلة السلام بأسلوب جديد إذ ربطوا بينها وبين مبدأ القومية، وأسقطوا تماماً الزعم القائل بأن السلام لايمكن أن يتحقق إلا من خلال إمبراطورية عالمية[2]، حيث دعا توماس مور" إلى أن يكون المبدأ الأسمى للحكومة هو رفاهية الشعب ويكون الحاكم عادلاً، ورأى أن الملكية الخاصة هي علة كل الشرور الاجتماعية، وحينما وجدت هذه الملكية فإن السيادة انتقلت للمال وحده وبالتالي يكون من المستحيل ضمان العدالة والرفاهية للمجتمع.

وبالتالي فتحقيق السلام لا يتم إلا من خلال إلغاء هذه الملكية ووضع سياسة خارجية سليمة وغير توسعية مبنية على الديمقراطية ومبادئ الحرية والمساواة[3].

وفي القرن السابع عشر ظهر في فرنسا كتاب للقس "سان بيير" (1658م-1748م) يتضمن مشروعاً لإنشاء حلف دائم بين جميع الدول المسيحية والقصد منه أن يضمن لكل دولة من الدول المتعاقدة سلامتها وسلامة أرضها[4]، ويعد هذا المشروع من أبرز مشاريع عصر التنوير، وقد أصدره "سان بيير" عام 1712م تحت عنوان " مقال عن السلام الأبدي في أوروبا" ثم اتبعه بمؤلفه الضخم من ثلاث مجلدات" مشروع سلام دائم في أوروبا"، وقد أظهر فيه "سان بيير" اقتناعاً كبيراً بأن

1-محمود محمد ربيع: مرجع سابق ،ص99.

2- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي : مرجع سابق ،ص18.

3- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي :المرجع نفسه ،ص19.

4-جرانفيل كلارك: مرجع سابق ،ص12.

التعليم وحده الضامن الوحيد للتطور السلمي وأن تحقيق السلام يتم عن طريق إنشاء ائتلاف دولي تقبله النظم السياسية القائمة وتكون المفاوضات هي السبيل الأوحد لحسم أي خلاف ينضب بين الدول الأعضاء في هذا الائتلاف بل أكثر من هذا ، أنه يحمل الملوك مسؤولية أكبر بشأن السلام في أوروبا[1].

وقد أكد "جون جاك روسو" (1712م–1778م) دعوة "سان بيير" للسلام العالمي ، حيث نشر موجزاً لمشروع "سان بيير" وأصدر كتيباً تحت عنوان" منظمة دولية للسلام" ورأى فيه أن إنشاء اتحاد الدول لا يكفي لتحقيق السلام الأبدي.

بل إن السبيل الوحيد لبلوغ السلام الدائم هو تطابق المصالح الشخصية مع المصلحة العامة ومن ثم يجب إحداث التغيير داخل الدولة لينتهي القهر والاستبداد وتسود الديمقراطية (الحياة السياسية للبلاد)[2]. هنا فقط يصبح للسلام الدائم أمرا ممكناً، وهكذا أضاف "روسو" إلى مفهوم السلام فكرة إجراء تغيرات سياسية في المجتمع . وثمة شخصية أخرى عرفت بعدائها العنيد للحرب ونعني بها "مونتسكيو" والذي كان مثله الأعلى إنشاء جمهورية فيدرالية تتمتع بسلطات واسعة في الشؤون التي تنشب داخل الدول الأعضاء وأصر على إنشاء اتحاد فيدرالي بين الدول ذات الحكومات المتماثلة وهكذا يمثل شرطا أساسياً في تحقيق السلام الدائم[3].

وهكذا تطورت الأفكار المعادية للحرب في جميع الفلسفات الإنسانية، وحتى الفلاسفة الألمان استهلوا بحثهم الدءوب لمشكلة السلام، ويعد كانط" أبرز المنظرين والداعين للسلام والذي سنتعرض إلى تحليل مشروعه فيما يأتي:

وخلاصة القول أن فكرة السلام قديمة أول نزاع شهدته الإنسانية منذ رفع الإنسان السلاح في

1– مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي : مرجع سابق ،ص42،43.

2–جون جاك روسو: خطاب في أصل التفاوت ،ترجمة عادل عنتر، سلسلة الروائع الانسانية، دار المعارف القاهرة 1954 ،ص40.

3– مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي : مرجع سابق ،ص44.

وجه أخيه الإنسان لأول مرة في تاريخ العالم لهذا كانت العودة إليها قديمة أيضا، لسنا أصحابها ولا مخترعيها ولكنها صيحة الضمير البشري منذ أن أحس بمخاطر تحكيم القوة المسلحة في النزاع بين الإخوة البشر.

ولعل أهم طرف في هذه الدعوة لا يقاض الضمير البشري جاءت من السماء عبر الرسالات المقدسة جسدتها الديانة الإسلامية في نصوصها القرآنية والديانة المسيحية في أنخايلها وأسفارها والى جانب الأدلة النقلية التي تدعو للسلام، أخذ المفكرين على عاتقهم هذه الدعوة ولو حاولنا أن نقدم نماذج من دعاة هذه الفكرة لأمكننا أن نستعرض التاريخ البشري كله .

هذا التاريخ الذي يعتبر نضالاً ضد الحرب وضد الاعتداء على حقوق الغير وضد استخدام القوة لتغليب فكرة على أخرى، فمثلما جاءت الديانات لمخاطبة الضمير البشري فقد حاول بعض المفكرين من أصحاب النزعة الخيرة مخاطبته أيضا وسط مفكرين آخرين كانوا يمجدون الحرب والعنف والقوة، فالسلام مطلب الإنسانية والخطاب الديني وخطاب المفكرين موجه لكل البشر لأنهم يشتركون في شيء واحد قال عنه ديكارت" أنه اعدل الأشياء توزيعا بين الناس ألا وهو العقل. (1)

1-رينيه ديكارت: مقال في المنهج ،ترجمة محمود محمد الخضيري،دار الكتب العربي للطباعةو النشر القاهرة،الطبعة الثانية ،1928

الفصل الثاني:

السلام عند كانط

المبحث الأول:السلام في فلسفة كانط

المطلب الأول: مفهوم السلام عند كانط من خلال مشروعه

مدخل تمهيدي للمشروع الكانطي

بعد ثلاث سنوات من اعتلاء "فريدريك وليام" العرش "بروسيا" اندلعت الثورة الفرنسية فزلزلت قوائم العروش كلها في أوروبا ، وفي الوقت الذي هرع فيه أساتذة الجامعات في ألمانيا لإعلان وتقديم ولائهم، وتأييدهم للنظام الملكي استقبل "كانط" أنباء الثورة الفرنسية بالبشر والسرور على الرغم من كهولته ، وقال لأصدقائه والدموع تغمير عينيه :"أستطيع الآن أن أقول ما قاله "سيمون" يا إلهي اسمح لعبدك أن يفارق العالم بسلام لأني رأيت خلاصك وإنقاذك"[1]، وكان "كانط" قد نشر في عام 1784م شرحا موجزاً لنظريته السياسية تحت عنوان "المبدأ الطبيعي للنظام السياسي وعلاقته بالتاريخ الدولي العام" وقد شرح فيه نظريته في النظام السياسي وعلاقته بالتاريخ الدولي العام وقد بدأ كانط" هذا البحث بالاعتراف بالنزاع بين الفرد والمجتمع وذلك النزاع الذي أفزع "هوبز" (النزاع عند "هوبز" تميز فيه الفرد بنضاله من أجل البقاء لتحقيق رغباته وتميز هذا النزاع أيضا بالإحساس الدائم بالخطر والمنافسة) وقد أقر "كانط" هذا النزاع بين الفرد والكل والذي يعبر عن الحالة الطبيعية للبشرية، وميلها للنزعة الفردية ؛ إلا أنه يرى في هذا النزاع وسيلة لتطوير إمكانيات الحياة المستترة إذ لو كان لكل الناس اجتماعيين بطبعهم لأدى هذا إلى خمود هامات الناس وركود نشاطهم فلابد من مزيج بين النزعة الاجتماعية والنزعة الفردية لتساعد في بقاء البشر وتطورهم فهو يقول :"لو لا ما لدى الناس من نزوعات وصفات فردية من عزّ وفهم عن الحياة الاجتماعية ...لعاشوا عيشة بسيطة يعمها السرور والسعادة والانسجام التام والقناعة والحب المتبادل"[2].

إن النزاع من أجل البقاء ليس شرا في حد ذاته ومع ذلك فقد اعتقد الناس وجوب تقيده ضمن

1-2-ويل ديورانت: قصة الفلسفة مكتبة المعارف بيروت، الطبعة السادسة عام1988 ،ص 360.

حدود معينة وتنظمه بالإحكام والعادات، والقوانين وهنا كانت بداية ظهور المجتمعات المتمدنة، إن نفس هذه النزعة الفردية التي أجبرت الناس على إيجاد المجتمع المتمدن هي نفسها السبب الذي دعا الحكومات إلى محاولة التمسك بحريتها الكاملة في إطار علاقاتها الخارجية مع الدول الأخرى ونتيجة لذلك فإن كل دولة تتوقع من الدول الأخرى نفس الشرور والمظالم التي كانت تميز المجتمعات قبل ظهور هذا التنظيم القانوني الذي أجبرهم على **الدخول في اتحاد مدني ينظمه القانون**[1]، وبالتالي فإن هذا الانتقال من الحالة الطبيعية الوحشية يعد دخولاً في نمط تنظيمي معين وقانوني وتوجهاً نحو تحقيق اتفاقات لحفظ السلام لأن الصيرورة والحركة التاريخية للإنسانية تتجه إلى الحد من العنف والخصام وتوسيع رقعة السلام في العالم .

وتعتبر رسالة "كانط" للسلام الدائم تطوراً بديعا ونبيلاً ، حول هذا الموضوع ومشروعاً عالميا للإنسانية والسلام، ويتفق هذا المشروع مع مذهبه الفلسفي سواء في نظريته عن الأخلاق أو في نظريته عن المعرفة ، فلا يمكن فهم مشروع السلام الدائم عنده بمعزل عن المبادئ التي قررها في نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي وفي تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق وغيرها من مؤلفاته الأخرى .

الخلفيات التاريخية لهذا المشروع:

إن المطلع على هذا المشروع يرى أن مضمونه والأفكار التي جاء بها "كانط" ليست من ضروب الخيال ولا من الأحلام والأوهام، فالواقع أننا لانجد فيما كتبه عن شرور الحرب وأهوالها أقوالاً خطابية ولا جملاً منمقة، وإنما هي معالجة فلسفية موضوعية وإدراكا لضروريات تاريخية وما إلى ذلك من الصفات التي تناول نظرياتها في مشروع السلام الدائم، وتضفي على آرائه قيمة ثابتة تخرجها على أن تكون أحلاما طوباوية فهي تعبر عن آمال نفس كريمة متفائلة ومثل أعلى وضعه ذهن محيط ببؤس الناس وفساد الطباع ولم يغفل عن كونه ماض ممهد للحضارة وأمل بمستقبل الإنسانية الذي يمكن أن يكون أفضل من ماضيها "ولو شاءت الأقدار يوماً أن يقوم شعب قوي

1-ويل ديورانت: مرجع سابق ،ص360.

مستنير فيكون من نفسه جمهورية من شأنها ، وطبقا لطبيعتها أن تكون نازعة على السلام الأبدي"[1]، وقد اعتبر بعض المفكرين أن هذا المشروع يعد بمثابة القمر المكتمل الذي يهدى المسافر الغريب في الليلة ويعتبر المشروع الذي جاء به "كانط" في السلام هادف يجب أن نسعى إلى تحقيقه ، أما فيما يخص المشروع في حد ذاته والذي في ترجمته الأصلية المعنوية نحو السلام الأبدي" فإن كان العرف قد جرى خصوصاً في انجلترا وأمريكا على محاولة المترجمين تلطيف ما قد يبدو في العنوان من غلو في الفهم لذلك يعمدون إلى الاستعاضة عن لفظ الأبدي بلفظ الدائم ولكن بشيء من التأمل في مرامي فلسفة كانط، فإن عنوان الكتاب بعيد عن كل تخيل ولا يزعم أنه نظرية قاطعة مطلقة بل هو مشروع مقترح للمناقشة بوضعه موضوع البحث والنظر من جهة، ومن جهة أخرى أراد كانط" أن يتحدث فعلاً عن سلام أبدي يتجاوز الحدود والظروف والعصور أي سلام دائم يستمر خلال الزمان، فكانط يتكلم عن السلام الأبدي وهو في اللغة الدائم والقديم والأبدي لا يتقيد ولا ينحصر عند حدود الزمان والمكان .الظالمة.

ويعتبر المشروع الذي جاء به "كانط" في السلام هادف يجب أن نسعى إلى تحقيقه ، أما فيما يخص المشروع في حد ذاته والذي في ترجمته الأصلية المعنوية نحو السلام الأبدي" فإن كان العرف قد جرى خصوصاً في انجلترا وأمريكا على محاولة المترجمين تلطيف ما قد يبدو في العنوان من غلو في الفهم لذلك يعمدون إلى الاستعاضة عن لفظ الأبدي بلفظ الدائم ولكن بشيء من التأمل في مرامي فلسفة كانط، فإن عنوان الكتاب بعيد عن كل تخيل ولا يزعم أنه نظرية قاطعة مطلقة بل هو مشروع مقترح للمناقشة بوضعه موضوع البحث والنظر من جهة، ومن جهة أخرى أراد كانط" أن يتحدث فعلاً عن سلام أبدي يتجاوز الحدود والظروف والعصور أي سلام دائم يستمر خلال الزمان، فكانط يتكلم عن السلام الأبدي وهو في اللغة الدائم والقديم والأبدي لا يتقيد ولا ينحصر عند حدود الزمان والمكان .

إن الفرق شاسع بين الديمومة والأبدية، فالأولى وإن كانت استمراراً في الزمان إلا أنها متناهية

1-كانط،: مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين مكتبة الأنجلو المصرية، 1967 ،ص30.

في حين الأبدية مفهومها لانهاية له في الزمان ونشير إلى أن فكرة التحالف لا تختلف عما سماه كانط" في كتابه **تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق**" بمملكة الغايات التي يقصد بها ذلك الترابط المنتظم الذي يجمع بين كائنات عاقلة متعددة عن طريق قوانين مشتركة[1].

بداخل هذه المملكة يتعرف كل فرد وفقا لحكم العقل، ويعامل كل شخص الآخر بوصفه غاية في ذاته كما أنها لا تختلف أيضا عما أسماه كانط" الدين في حدود العقل" وحده في مملكة الله إذ يبرهن على أن الرسالة العقلية لجميع الديانات الحقيقية رسالة أخلاقية وهذه الرسالة دعوة لوحدة البشرية في ظل قوانين أخلاقية وهدفه هو أن تتحقق مملكة الغايات في حياة الاجتماعية والسياسية.

وفكرة السلام هاته عبرعنها كانط" في مقدمة أو كلمة موجزة في كتابه مشروع السلام الدائم" في تقييمه بسخرية لطيفة لاذعة تحجب ما تنطوي عليه من جد ومرارة فهو يقول :"لقد وضع أحد أصحاب الفنادق الهولنديين ذات يوم لافتة لمطمعه رسم عليها مقبرة وكتب فوقها عبارة إلى السلام الدائم"[2]، فكانط" في تقديمه للمشروع يحاول أن يبعد عن نفسه أي شك يحاول تفسير إقدامه على الكتابة السياسية وبأنها منه في الشؤون السياسية لبلده بغية إحداث تغييرات سياسية،ثم يميز بين رجال السياسة التجريبيين وبين فلاسفة السياسة قائلاً: "أن أصحاب السياسة العملية ينظرون إلى أصحاب السياسة النظرية بأنافة واستكبار ويعتبرونهم حكماء لا خطر منهم على الدولة"[3]، ويدعو كانط" هؤلاء إلى أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم إذا تصادمت آرائهم مع آراء الفلاسفة : إذن فالساسة قد بلغ حضهم من الحكمة العملية هذا المبلغ دون أن يساورهم قلق كبير، يستطيعون أن يأذنوا للمفكر والفيلسوف بأن يطلق سهامه كلها في وقت، وبهذا الشرط الوقائي يعلم كانط" أنه قد حمي نفسه على أفضل وجه ممكن من كل تأويل يرمي إلى الكيد له .

1-كانط: تأسيس ميتافيزقيا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، دار القومية للطباعة والنشر القاهرة1965 ،ص79.

2-كانط :مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص29.

3-علي عبد المعظمي محمد: اتجاهات الفلسفة الحديثة ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1993 ، ص458.

المطلب الثاني: نحو السلام الدائم

الفرع الأول: الشروط التمهيدية لتحقيق السلام

إن تحقيق السلام الدائم أو التحالف السلمي عند كانط يتلخص في قوله :"إذا حاولنا أن نعطيه حقيقة واقعية عن طريق إصلاحات تدريجية يتم تنفيذها وفقاً لمبادئ محددة فإننا نجد أنها الوسيلة الوحيدة للاقتراب بصورة مستمرة من الخير السياسي الأقصى ويقصد السلام الدائم"[1].

فقد قسم **كانط**" كتابه مشروع السلام الدائم" الى قسمين: القسم الأول عنوانه "الشروط التمهيدية لتحقيق السلام الدائم بين الدول" ويضع في هذا الصدد ستة مواد أساسية على النحو التالي:

-المادة الأولى: إن أي معاهدة من معاهدات السلام لا تعد معاهدة إذا انطوت نية عاقديها وموقعيها على أمر مشبوه من شأنه إثارة الحرب من جديد"[2].

تهدف هذه المادة في حقيقة الأمر الى القضاء على جميع أسباب الحرب في المستقبل ولو كانت مجهولة حينها من طرفي التعاقد وذلك بواسطة وضع بنود صريحة وواضحة وغير غامضة،

1-2-كانط :مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص37.

وتهدف من ناحية أخرى الى ضرورة وجود الصراحة والوضوح في العلاقات بين الدول المتعاقدة وخطر وجود بنود سرية ومفاوضات تسهل ظهور الحروب والنزاعات.

بينما تساعد السياسات المكشوفة والظاهرة في الأنظمة الديمقراطية على تحقيق السلام، وما سبق ذكره فإن هذه المادة ذات أهمية بالغة فهي امتداد لمبدأ "الإرادة الخيرة" الذي هو أساس كل فعل أخلاقي.

-**المادة الثانية:** تقول إن اي دولة مستقلة صغيرة أو كبيرة لا يجوز أن تملكها دولة أخرى عن طريق الميراث أو التبادل أو الشراء أو الهبة[1].

يعترض كانط" في هذه المادة على الاستعمار مؤكداً أن لكل دولة لها استقلالها وليس من حق دولة أخرى أن تتدخل في شؤونها أو أن يكون لها حق في ملكيتها بأية طريقة كانت.

إن الدولة كما يراها كانط أشبه بجذع الشجرة لها أصولها الخاصة وإدماجها في أخرى كما لو كانت نباتاً يطعم نباتاً آخر معناه تجريدها من وجودها باعتبارها شخصا معنويا, وينبهنا كانط إلى أن الكثير من الأخطار التي تعرضت لها أوروبا كانت شيوع وهم عند أهلها مؤداه أن ملكية وحيازة الدول أمر مباح ولم يضعوا في اعتبارهم أن الدولة ليست متاعاً وإنما هي جماعة إنسانية لا يحق لأحد سواها إن يفرض سلطانه عليها وأن يتصرف في شؤونها.

-**المادة الثالثة:** يجب إن تلغى الجيوش الدائمة إلغاءا تاماً على مر الزمان[2].

يدعو كانط في هذه المادة إلى القضاء إلى الحرب وأسبابها قضاءاً تاماً، إذ أن الجيوش نفسها تكون سبباً لحروب عدوانية فهي تبدو على الدوام متأهبة للقتال ويكون نتيجة لها تهديد الدول الأخرى بالحرب وتحفيزها إلى السباق والتنافس في زيادة قواتها المسلحة لا تقف عند حد معين.

1-كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص38.

2- كانط: مشروع السلام الدائم، المصدر نفسه ،ص40.

علاوة على كل هذا فإن النفقات التي تخص لهذا الأمر تجعل السلام أشد وطأة من الحرب القصيرة، وينبهنا كانط إلى نقطة قد تكون لها أهميتها وهي أن استئجار الناس لكي يقاتلوا أو يقتتلوا معناه نعاملهم معاملة الآلات أو الأدوات.

بالإضافة إلى أن هذا الأمر ما هو إلا تأكيد أقره كانط من قبل في كتابه "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" في قاعدته القائلة، "افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك بوصفها دائماً وفي نفس الوقت غاية في ذاتها ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة"[1] ، إن الإنسان عند كانط ليس وسيلة أو آلة تستخدم من أجل هدف معين ولكنه غاية في ذاته ومن ثمة معاملته على أنه آلة أو أداة في يد غيره أمر لا يتفق مع حقوق الإنسانية ، وإن كان يطالب في هذه المادة بإلغاء الجيوش الدائمة فهو يقر بالتدريبات العسكرية التي يقوم بها المواطنون من حين لآخر ليكفلوا سلامتهم وسلامة وطنهم من أي عدوان أجنبي.

-**المادة الرابعة:** يجب أن لاتعقد قروض وديون وطنية من أجل المنازعات الخارجية للدول[2].

يرى كانط" في هذه المادة أنه لامانع على أية دولة أن تلجأ إلى طلب المعونة من الداخل أو الخارج لتحسين الظروف أو تطوير المرافق العامة وذلك لتحقيق المصلحة العامة والاقتصاد الوطني، بينما يرفض رفضا قاطعاً نظام التعامل الذي يقوم على عقد الديون وتضخيمها لأن هذا النظام في رأيه يكون ذريعة لتدخل الدول الأجنبية في شؤون الدولة مما يؤدي في النهاية إلى عدم تحقيق السلام الدائم .

-**المادة الخامسة:** لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في طريقة الحكم فيها[3].

1-كانط : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مصدر سابق ،ص82.

2-كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق -ص42.

3- كانط: مشروع السلام الدائم، المصدر نفسه: -ص44.

هذه المادة لا تختلف كثيرا عن المادة الأولى ، وواضح أن الهدف من ورائها التأكيد على أن لكل دولة استقلالها وليس من حق دولة أخرى التدخل في شؤونها، إلا أن كانط يرى الدولة انه يجوز التدخل في حالة واحدة وذلك حينما تحدث منازعات داخلية تؤدي إلى انقسام الدولة(الحروب الأهلية) ولكن يؤكد على أنه إذ لم تتوصل الدولة المتدخلة إلى فض وإيقاف المنازعات الداخلية فإن هذا التدخل لا يكون إلا افتراء على حقوق ذلك الشعب واقتراف المنكر وزعزعة الاستقلال .

-**المادة السادسة:** لا يحق لأي دولة في حرب مع أخرى أن تستبيح لنفسها القيام بأعمال عدائية كالاغتيال والتسمم وخرق شروط التسليم والتحريض على الخيانة التي من شأنها عند عودة السلام تؤدي إلى فقدان الثقة بين الدولتين[1].

هذه المادة تؤكد على أمرين أساسيين هما:

1-يجب حتى أثناء قيام الحرب الإبقاء على شيء من الثقة في شعور الطرف المعادي وهذا لإقامة فرصة أكبر للسلام .

2-تحريم حرب الإبادة والوسائل المؤدية إليها، لأنها إلى هلاك الطرفين وبالتالي القضاء على كل حق ولا تدع للسلام الدائم مكانا، ولا تسمح للجنس البشري العيش في استقرار.

ومما سبق يمكننا القول أن كانط" في الجزء الأول من كتابه مشروع السلام الدائم وقد وضع ستة شروط تمهيدية للسلام فلا يتحقق من دونها، فقد اعتبرها بنود واتفاقات أولية لتحقيق سلام دائم بين الدول والأمم وأولى لها أهمية بالغة واعتبرها أساس للسلام.

المواد النهائية لتحقيق السلام:

بعدما انهى كانط" من طرح الشروط التمهيدية لتحقيق السلام في القسم الأول من كتابة انتقل في القسم الثاني إلى استعراض المواد النهائية، وقد لخصها في مواد ثلاث هي كالتالي:

1-كانط : مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص45.

-**المادة الأولى:** يجب أن يكون الدستور المدني للدولة دستوراً جمهورياً[1].

لقد ذكرنا سابقاً أن كانط ينشد صورة الدولة التي يكون دستورها جمهورياً، لأنه في ظل الدستور الجمهوري.

لا يمكن اتخاذ القرار بأن تقع الحرب أو لا تقع إلا برضا المواطنين ومن الطبيعي أنه ما دام لمطلوب منهم أن يحكموا على أنفسهم بمعاناة الحرب ونتائجها فهم مضطرون إلى أن يترددوا في الأمر وأن يطلبوا التفكير والتمعن فيه قبل أن يقدموا على لعبة خطيرة كهذه إذ يلزمهم أن يخوضوا غمار الحرب وأن يشاركوا فيها مادياً ومعنوياً .

أما في حالة كون الدستور غير جمهوري فإن الحرب تقرر فيها بأقل قسط من التدبر والتفكير لأن الحاكم ليس عضو في الدولة بل هو مالكها وبالتالي لا يخشى إن وقعت الحرب أن تؤثر عليه وعلى ممتلكاته فهي تنعكس على المواطنين ، ولهذا يرى كانط أنه يجب جمهرة الدستور ودمقرطته.

-**المادة الثانية:** ينبغي أن يقوم قانون الشعوب على أساس نظام اتحادي بين دول حرة[2].

يرى كانط أن الدول ليس في وسعها إذا أرادت أن تدفع عن حقها أن تعتمد على التقاضي كما يفعل الناس أمام المحاكم وإنما سبيلها إلى هذا هو الحرب ولكن الحرب والنجاح فيها لا يحسم بحال من الأحوال مسألة من الحق، وإذا كنا ننظر إلى التقاتل بين الدول تقاتلاً مستمراً على أنه همجية ونقص في المدينة وانحطاط إلى حضيض الحيوانية فكانط يرى أن إقرار السلام سبيل كل هذا، ويتحقق هذا الهدف عن طريق عقد حلف ذو طابع خاص يمكن أن نسميه حلف السلام[3] .

وهو مختلف عن معاهدة السلام لأنه من شأنه أن يقضي إلى الأبد على الحروب في حين أن

1- المصدر نفسه ،ص57.

2- كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص64.

3- المصدر نفسه ،ص67.

معاهدات السلام" إنما هي إنهاء الحرب واحدة[1].

وينبهنا كانط إلى أن حلف السلام يجب أن لايفهم على أنه يعني دولة واحدة فعلى كل دولة أن تفترض وجود علاقة بين الحاكم (المشرع) والمحكوم (الشعب) وانطواء شعوب عديدة تحت لواء دولة واحدة ومعناها إغفال حقوق الشعوب في علاقتها مع بعضها البعض من حيث أنها تضم عدداً من الدول ولا تندمج في دولة واحدة، وكل ما في الأمر "أن الدول في نظر العقل من حيث صلاتها المتبادلة لا سبل لكي تخرج من الحرب التي تجسمها إنعدام القوانين إلا أن تتخلى عن حريتها الجامحة والهوجاء وأن تذعن لا لزام القوانين العامة فتؤلف بذلك جامعة أمم"[2].

إن حلف الشعوب ما هو إلا فكرة نفترضها أو هدف يجب أن نأمل ونسعى إلى تحقيقه وينبغي أن يمتد إلى الدول جميعاً فتؤلف بذلك جامعة أمم تنمو على الدوام حتى تشمل شعوب الأرض جميعا، وغاية هذا الحلف المحافظة على الحرية بين الدول المتحالفة وضمان هذه الحرية غايته صرف الدول عن الحروب والمنازعات التي تتنافى مع القيم الإنسانية وبذلك تحقيق سلام دائم يبدو أن فكرة حلف الشعوب" لا تختلف عما أسماه كانط في كتابه تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" بمملكة الغايات".

-**المادة الثالثة:** حق النزيل الأجنبي من حيث التشريع العالمي مقصور على إكرام مستواه"[3].

الهدف من هذه المادة هو التأكيد على حق كل أجنبي أن يعامل معاملة الشقيق والصديق من البلد الذي هو فيه ما دام مسالماً، ويجوز للبلد أن يرفض إيوانه إذ كان ذلك مضرة في مصلحتها ، والهدف من وراء ذلك التأكيد على أن ليس من حق أية دولة، باسم حق الزيارة أن تتدخل في شؤون دولة أخرى لأن لكل دولة السيادة وحرية التصرف في شؤونها ، ويقدم لنا كانط أمثلة تبين لنا تدخل الكثير من الدول الأوروبية في شؤون دول أخرى باسم الزيارة الذي يتحول الى الغزو والاستعمار

1- المصدر نفسه ،ص68.

2-2- مصدر سابق، ص70.

وبين لنا النتائج المترتبة عن ذلك فهو يقول :"لما دخل الأوروبيين الهند الشرقية والهندوستان استقدموا إليها قوات أجنبية يدعون إنشاء مكاتب تجارية فضيقوا الخناق على المواطنين

وأضرموا نيران الحرب بين دول مختلفة في تلك البقعة الشاسعة من العالم ونشروا فيها الجوع والتمرد والخيانة وما إلى ذلك من شر وبلاء"[1].

وخلاصة القول: بعد أن قام كانط في الجزء الأول بوضع ستة شروط تمهيدية لتحقيق السلام وقد قام في الجزء الثاني بوضع ثلاث مواد وبنود نهائية لتحقيقه ، فكما اعتبر المواد التمهيدية ذات أهمية بالغة فكذا المواد النهائية باعتبارها تكملة للمواد التمهيدية فهما وحدة كاملة غير قابلة للتجزئة وهدفها واحد ألا وهو تحقيق سلام دائم بين الأمم والدول.

1- المصدر نفسه،ص74.

المبحث الثاني:السلام الدائم

المطلب الأول: كيفية ضمان السلام الدائم في نظر كانط

المادة السرية لتحقيق السلام:

كان ايمانويل كانط" أو من تنبأ بصورة عبقرية بحتمية اتحاد الأمم"[1] وإن الطبيعة البشرية تحت تأثير الحروب، وعبء تسليح الجيوش، ودعمها ووطأة الفقر حطم أيام السلام في كل بلد من البلدان ، سوف تدفع البلدان وجميع الناس وتحثهم بعد العديد من حالات الدمار والثروات والإنهاك التام، الى الاستماع لصوت العقل، فيؤلفون حلفا دولياً لكل دولة فيه قيمتها ، وحتى أصغرها لها أن تأمل في الاستغلال والتمتع بحقوق مكفولة لاتضمنها قوتها، الذاتية بل قوة اتحاد الشعوب، وكان كانط" مقتنعاً تماما بأهمية وجدوى إقامة سلام دائم بين الأمم[2].

– وبعد أن انتهى كانط" في مشروعه من طرح المواد التمهيدية و المواد النهائية لتحقيق السلام الأبدي، ولما كانت المعاهدات في ذلك العصر تشمل على مادة سرية، فقد زود المؤلف كتب بها مادة سرية، وفي هذه المادة نجده تنبأ فيها بأن المبادئ التي يصممها الفلاسفة كشرط للسلم الدائم سوف تنظر فيها الدول[3] ونقول هذه المادة يجب أن توضع أحكام الفلسفة فيها,و تتعلق بشروط السلام الدائم، وتكون موضع اعتبار لدى الدولة المجهزة للحرب[4].

وتهدف هذه المادة إلى بيان آراء الفلاسفة ، ومن ثم يجب على الدولة أن تسمع إلى هذه الآراء وتلمس لدى رعاياها ومهمة الفلاسفة أن يرشدوها إلى مبادئ سلوكها مع الدول الأخرى، وهذا يؤدي إلى ترسيخ مبادئ الحرية والصراحة بين السلطة والرعية، إلا أن هذه الآراء لا تحتاج إلى أي اتفاق

1– مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي :مرجع سابق،ص45.

2– كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص9.

3– المصدر نفسه،ص 27.

4– المصدر نفسه،ص94.

خاص تعقده لدول فيما بينها" لأن ذلك متضمن من قبل في إلالزام المتمدد من العقل الكلي الشامل، أي العقل الأخلاقي المشرع.

إلا أن انفتاح الدولة واستماعها لآراء الفلاسفة لا يعني تفصيل هذه الآراء على فتاوى فقهاء القانون الممثلين لسلطة الدولة لأن "كانط" يدعو إلى المساواة بين أفراد المجتمع وإتاحة الفرص أمامهم للتطور المواهب والإمكانيات الكامنة فيهم، وهو يرفض كل "ضروب الامتيازات الطائفية والعائلة الطبقية"[1].

ويفتح حينئذ المجال لحكم القوانين المبنية على المساواة والتي ترضى فيها الشعوب باستعادة آراء الفلاسفة، بل تدع لها حرية الجهر بها، والتعبير عنها صراحة، وهذا أمر لا غنا للملوك ولا للشعوب عنه لأن " الفلاسفة بتطبيقهم عاجزون أن يحشدوا الحشود أو أن يجتمعوا في النوادي والأحزاب، فلا يمكن أن تحوم حولهم شبهة الدعاية"[2].

وبالتالي تهدف المادة السرية إلى بيان لآراء الفلاسفة من أهمية ومن ثم يجب على الدولة أن تصنع في الاعتبار هذه الأهمية، وفي هذا الإطار لا يتوقع "كانط" أن يكون الملوك على عكس مراه أفلاطون فلاسفة أو الفلاسفة ملوك، بل أنه ينبغي أن يكون هذا أمرا مأمولاً لأن "ولاية السلطة من شأنها أن تفسد حكم العقل أن تقتضي على حلاً يته قضاء لا مرد له[3].

وقد ختم "كانط" مشروعه بتغمية ثقة معتدلة ومتزنة بقوله "السلام الأبدي ليس فكرة جوفاء فارغة بل هو مهمة أو رسالة يكون أداؤها عن طريق الحلول التدريجية ألتقد يمنية معا[4] تتخلص المادة السرية لتحقيق السلام في انتقال، " كانط" إلى بيان الدور المنوط بالفلاسفة وأهل الفكر في تحقيق السلم.

1-ول ديورانت: مرجع سابق،ص97.

2-كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ص27.

3- المصدر نفسه، ص97.

4- المصدر نفسه ،ص27.

فقد خصص في مشروعه حيزا لأمل الحكمة ليس إلى درجة السلطة مثلما اقترح أفلاطون في جمهوريته الفاضلة بل اقتصر "كانط" على ضرورة الأخذ بآراء الفلاسفة فيما يتعلق بفكرة السلام وأوجب على الدولة أن تولي الاهتمام بالمبادئ الفلسفية لإقرار السلم لأن هذه المبادئ هي الكفيلة بتحديد سلوك دولة تجاه دولة أخرى، ومن هذا المنطلق أيضا آراء "كانط" بيان رفضه للامتيازات العائلية والطائفية ودعوته لحرية الفكر والجهر بلا راء .

لكن ما أوخذ عليه في قوله بأن الفلاسفة عاجزون أن يحشدوا التأييد وأن يجتمعوا في أحزاب بغرض الدعاية أمر مبالغ فيه بعض الشيء ذلك أن بعض أفكار الفلاسفة صنعت نماذج لماسكي وصراعات كثيرة، لأن هناك بعض الآراء غالباً ما تنطوي على إيديولوجية خفية، ولعلّ الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية مثلاً بدأ بصراع فكري وانتهى بحروب مسلحة.

ورغم مذاكر من تجاوزات "لكانط" من خلال مشروعه إلا أن هذا لا ينقص من قيمته شيء لأنه يبقى محاولة جريئة سنحاول بيان أثاره ومدى تحققها في ما سيأتي.

علاقة السلام بالأخلاق في فلسفة "كانط":

يقول "كانط" شيئان يخلان قلبي حبا وإعجاباً ورهبة، متجددين ونامين على الدوام كلما ازداد انشغال الفكر بهما، وهما السماء المزدانة بالنجوم فوقي، والقانون الأخلاقي في أعماق نفسي[1] فهذا يعني أن فلسفة كانط" مبنية على نظام أخلاقي تمتزج من خلاله جميع الجوانب المكونة للإنسان يكن من خلاله "كانط" أسمى مشاعر التقدير والاحترام للأخلاق.

والفلسفة الأخلاقية عنده هي الهدف الأقصى الذي كان يسعى إلى إرسائه وتبليغه للإنسانية لأن معظم أفكاره في نهاية مطافها هي فلسفة أخلاقية ، وقد جسد هذا التوجه في كل مؤلفاته ومن بينها "مشروع السلام الدائم" فهو وثيق الصلة بمختلف مؤلفاته ، فالإنسان الذي رسم "كانط "حدود معرفته في هذه الأخيرة وشيد أخلاقه مدني بطبعه ، وهنا نلاحظ اتفاق "كانط" مع جان جاك روسو" في

1-رفقي زاهر: أعلام الفلسفة الحديثة، ط1، دار المطبوعات الدولية 1979 -ص199.

هذه الفكرة والتي يرى فيها هذا الأخير أن الدوافع الأولى للطبيعة دائما صحيحة، وأنه ليس هناك فساداً أو خطيئة فالفطرة في قلوب البشر[1].

إن "كانط" بمدينة الإنسان واجتماعيته جعله يطرح فكرة التنظيم السياسي فوضع نظريات في السياسة تتوافق مبادئها وحدودها مع سائر أجزاء فلسفته، وقد ظهر هذا واضحاً من خلال الملحقين الذين أضافهما "كانط" لكتابه يحملان عنوان في الخلاف بين السياسة والأخلاق وفي الاتفاق والسياسة وقد حاول من خلال هذين المؤلفين تحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجوانب السياسية والأخلاقية، وهنا يجدر الإشارة إلى أن النشاط السياسي الفعلي يمثل صورة مختلفة عن العالم الأخلاقي فتقول السياسة " كن مستبصراً كالثعابين"[2] . وتقول الأخلاق "كن بسيطاً كالحمائم"[3] فهل يمكن الجمع أو التوفيق بين هذين الأمرين في مبدأ واحد؟ الشيء المعروف والمعهود هو أن السياسيين ذوي طموح وأنانية فهم يستغلبون أنفسهم بالسلطة ويسخرونها لخدمة مصالحهم الشخصية ، ومن هنا نرى تصرفاتهم خالية من الاعتبارات الأخلاقية ، وهذه الأخيرة لا تلعب أي دور في أعمال السياسيين وأهدافهم فالنزاع إذن بين الأخلاق والسياسة ليس بفكرة جديدة، وإنما له جذوره التاريخية، وعلى الرغم من كل هذا وجدت محاولات من قبل الفلاسفة للربط بين السياسة والأخلاق، فتاريخ الفكر السياسي يوضح لنا بأن أفلاطون وأرسطو"[4] وغيرهم قد أكدوا أن الفلسفة السياسية والدراسة الأخلاقية بصورة جوهرية .

ولقد كانت "لكانط" محاولاته في هذا المجال فكان في بداية الأمر يميل الى الفصل بين الأخلاق والسياسة فهو يرى أن الفلسفة أو فلسفة الحق" (وهي نظرية صاغها كانط" في كتابه المبادئ الميتافيزيقية الأولى لنظرية الحق، وفي مضمونها هي مجموع الشروط التي تلاؤم بين حريتها وحرية الآخرين تعالج الجانب الإلزامي من السلوك الإنساني) فهي تعالج الجانب الملزم من السلوك

1-جون جاك روسو: مرجع سابق ،ص40.

2-3-كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص99.

4-محمد محمود ربيع: مرجع سابق ،ص83.

بينما تعالج الأخلاق الجانب الإرادي منه ويعبر عنه "كانط" أن مجمل أفعالنا مبنية على أساس الإلزام وفقاً للأسس الخيرية الداخلية للفعل فتكون بذلك الأولى ضرورة قانونية وأخلاقية، وفي الثانية فالأفعال القانونية لها جانبها الأخلاقي انطلاقاً، من الدوافع ومن هنا نرى فرقا واضحا بين النواحي القانونية والنواحي الأخلاقية للفعل، إننا في مجال السياسة والأخلاق أمام نوعين من الواجب أولهما التشريع الداخلي وثانيهما التشريع الخارجي، وهذين النوعين مختلفين من حيث الدوافع .

بالإضافة الى سبب ثاني يجعل "كانط" يميل إلى الاعتقاد أن جوانب الإنسان التي يعالجها في –فلسفة الحق– تختلف عن تلك التي يعالجها في فلسفة الأخلاق، فالتجربة لها مجال في فلسفة السياسة بينما ليس لها قيمة في الفلسفة الأخلاقية، لكن يبدو أن "كانط" قد أدرك بعد هذا أن هناك علاقة وثيقة بين الأخلاق والسياسة فدعوته إلى "اتحاد فدرالي" أو "جامعة أمم" هي في اعتقادنا رغبة في تحقيق ما أسماه في الفلسفة لأخلاقية بـ"مملكة الغايات" التي يقصد بها "ذلك الترابط المنظم الذي يجمع بين كائنات متعددة عن طريق قوانين مشتركة وفقاً للتصور الترومسندنتالي للقانون العام"[1] .

وداخل هذه المملكة يعامل كل فرد الآخر على أنه غاية لا وسيلة ، ومن هنا يكون الترابط بين الأخلاق والسياسة ترابطاً وثيقاً فالعالم السياسي يمدنا بالسياسة التي نناضل بها لتحقيق هذه الغاية، إن السياسيين لهم مهمة معرفة بناء المجتمعات وهذا ما يتطلب معرفة تصور عن الإنسان الذي يراه "كانط" تصوراً أخلاقياً .

يرى كانط" أن المبادئ السياسية ينبغي ألا تقوم على الرفاهية والسعادة التي تشهدهما الدولة وإنما على الفكرة الخالصة فكرة واجب الحق" (أي المبدأ الأخلاقي الأعلى) فالسياسي في رأيه "يجب عليه أن يتجرد من الاعتبارات السابقة لمجرد أن أمر الواجب يتبعه"[2] وعليه أن يبذل ما بوسعه ليتأكد من عدم تسلسل أي دافع يستمد من الرغبة في السعادة، والى تصوره في الواجب" إذ

1–كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مصدر سابق ،ص85.

2–مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي: مرجع سابق ،ص45.

أن حقيقة كل حكومة تقوم في أن يعي كل إنسان بسعادته ، وأن يكون لكل إنسان الحرية في أن يتعامل مع الآخرين لهذه الغاية ومهمة الحكومة هي فقط العمل على إحداث انسجام بينهم وفقا لقانون المساواة ودون أدنى محاباة"[1].

ويميز "كانط" بين السياسي الأخلاقي والأخلاقي السياسي فالأول هو الشخص الذي لا يقبل من مبادئ السياسة ألا ما تقره الأخلاق، أما الثاني أي الأخلاقي السياسي فهو الشخص الذي يرسم مذهبا أخلاقياً يلائم مصالح السياسة ، وفي هذا الصدد يرى "كانط" أنه لا يجب استخدام الأخلاق لتحقيق غايات سياسية ولكن يجب على السياسي أن يستخدم الوسائل السياسية لتحقيق أهداف أخلاقية .

إذ لا ينبغي أن نطلب من الأخلاق تنظيم الدولة تنظيماً سياسياً صالحاً بل ينبغي من النظام السياسي الصالح تثقيف الشعب تثقيفاً أخلاقياً[2] وبالتالي نستطيع القول بأن الأخلاق عند كانط" هي ثقافة قبل كل شيء فقضية السلام" مثلاً لا نستطيع الوصول إليها دون محاولة تثقيف الشعب بها والثقافة هنا بمفهومها الواسع أي الثقافة التي تقف عند مفهوم الشيء وغايته وأهدافه وقيمته وتجلياته ، ومن هنا تبقى الأخلاق دائماً الهدف الأسمى الذي يسعى كانط" إلى تبليغه وإرساء أسسه ومبادئه وتثبيته في أذهان رجال السياسة والحكام لذا يقول:" إن الحكمة يجب أن تصل إلى البلاط من الحجر الدارسة"[3] وهذا محاولة لدفع الحكام إلى ضرورة تعلم الحكمة والفضيلة من مدرسة الفلاسفة .

فعلى السياسي الأخلاقي أن يمهد الطريق للتعبير الى الأفضل متجنبا القوة كطريق للإصلاح أو المطالبة بالتغيير ، وهكذا يرتبط العالم الأخلاقي بالعالم السياسي فيمدنا العالم الأول بتصور المجتمع المثالي، ويمدنا الثاني بالساحة التي تناضل فيها لكي يتحقق هذا المثال، وبفضل إرادة

1-عبد الرحمن بدوي،: ايمانويل كانط"، مرجع سابق ،ص94.

2-كانط : مشروع السلام الدائم: مصدر سابق،ص118.

3-عبد الرحمن بدوي: اميانويل كانط" ،المرجع نفسه ،ص95.

السياسي الأخلاقي الخيرة يمكن أن يلعب دوراً مناسباً في السياسة، لكن يجب أن لايكون سيء الطباع في تحقيق أهدافه فالوصول إلى هذا المجتمع الكامل المثالي يكون بصورة تدريجية .

وبناءاً على كل ما تقدم يمكن القول: بأن كانط يرى أن هناك علاقة وثيقة بين السياسة والأخلاق فالسياسة الحقيقية في رأيه "لانستطيع أن تخطوا إلا بعد أداء التحية أولا للأخلاق لأن الأخلاق تقطع المشكلات التي تستعرض على السياسة[1].

وفي إطار الوعي الكانطي بتداخل السياسة والأخلاق فإن السلام باعتباره فضيلة أخلاقية ومطلباً سياسياً لابد من إعطائه الطابع الإنساني العالمي، وقد تنبأ كانط لهذا بصورة عبقرية وقال :"بتنمية اتحاد الأمم والاستماع لصوت العقل وتأليف حلف دولي وإقامة سلام دائم بين الأمم"[2].

المطلب الثاني: تقييم المشروع الكانطي

مدى تحققه:

السلام مثل أعلى ظلت البشرية تنشده منذ أقدم العصور، ولقد تبنى كانط" المعارضة القوية للاستبداد والظلم من جانب دعاة الفكر المسالم ومن آمال أرحب تطوق إلى السلام والرخاء العالمي والعدل الاجتماعي، وقد ظهرت في الأعوام الأخيرة دراسات عديدة في هذا المشروع ولعلّ مرحلة التنوير" هي الأخرى قدمت برامج للسلام العالمي .

ويعد مشروع السلام الدائم أهم الأعمال السياسية التي قدمها كانط" واهتم من خلاله بفكرة السلام لا على المستوى الإقليمي وحده بل على المستوى العالمي أيضا، فلقد كتب كانط هذا الكتاب عام 1795م وفي الخامس من أفريل على وجه التحديد من هذا العام وهو اليوم الذي عقدت فيه معاهدة السلام بين فرنسا وروسيا وسميت باسم "سلام بال".

1-كانط : مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص221.

2- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي : مرجع سابق ،ص45.

ولقد تحسس كانط وابتهج لتوقيع هذه المعاهدة وقال يومها لأصدقائه والدموع تغمر عينيه:"أستطيع الآن أن أقول ما قاله "سيمون" يا إلهي اسمح لعبدك أن يفارق العالم بسلام لأني رأيت خلاصك وإنقاذك"[1] بل وأعرب كانط عن أمله أن تعقد الدولتان اتفاق يكفل سلام دائم بينهما ويرى أن غاية الطبيعة نصرة السلام، فالإنسانية تتطور من الفوضى إلى الحق ومن العبودية إلى الحرية ومن الحرب إلى السلام، وبناءا على ذلك تتلاقى هذه المبادئ في التجربة الإنسانية على نحو يبعث على الاطمئنان مع مطالب الضمير والأخلاق، إن التحليل المنصف الموضوعي لمحتوى الشروط والمواد التي قدمها "كانط" في مشروعه تبين لنا تلك الوسائل الحقيقية لدعم السلام.

وتبين لنا أن منظمة الدول التي اقترحها لم تكن ملكية عالمية ولا جمهورية عالمية بل عصبة أو جامعة دول حرة ذات سيادة، ويتحدث كانط عن عصبة أمم وليس عن دولة جامعة أمم[2] وتخطيط كانط للسلام الدائم يظهر لنا تلك الأماني التي أراد من خلالها تحقيق هذا المشروع لكننا نتساءل:

هل هذا التخطيط جنب كانط الوقوع في اليوتوبية؟

إن الكثير من دارسي وشارحي فلسفة كانط" يعتقدون أنه ليس مفكراً يوتوبيا ، فها هو الدكتور عثمان أمين" يقول :"نجد في معالجة الفيلسوف لهذا الموضوع قصدا واعتدالاً وادراكاً للضرورات التاريخية، وما الى ذلك من الصفات التي تلقى على مشروع كانط" للسلام الدائم طابع العمق والجد وتضفي على أرائه قيمة ثابتة، وتخرجها على أن تكون أحلاماً طوباوية أو قصة فلسفية أو ملهاة تحكمية، كما زعم بعض الكتاب في القرن الماضي"[3].

إن الاتحاد السلمي الذي دعا إليه كانط" ليس من أضغاث أحلام أو باطل أوهام بل يوحي بأن صاحبه كان داعية سلام، لقد آمن بأن الحرب تكون مشروعة عندما تلجأ إليها أمة كرها دفاعا عن

1-ويل ديورانت : مرجع سابق ،ص360.

2- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي : مرجع سابق،ص46.

3-كانط :مشروع السلام الدائم ، مصدر سابق ،ص20.

استقلالها، ولكن على رغم إيمانه بأن الحرب مشروعة وعادلة في بعض الحالات إلا أنه لم يسلم بوجود أمر من الأمور من شأنه أن يسمح بقيام الحرب لتظل سيفاً مسلطاً يهدد الحياة الدولية، وكان مقتنعاً تماماً بأهمية وجدوى إقامة سلام دائم بين الأمم[1] .

لقد أكد"كارل ياسبرس" أن السياسة عند كانط تصور الوجود الحقيقي للانسان في العالم وهي ترفض كل أنواع اليوتوبيات والايديولوجيات إنها تبحث عما هو ممكن وما هو حق في الموقف الانساني، فقد قدم لنا كانط أحسن صورة للحكومة المدنية لكل دولة من دول العصبة، ويحدد حق المواطنة العالمية.

وعلاقتها بالحق الأجنبي في الاستضافة أو الزيارة ، أما عن مبدأ الاتحاد الفدرالي أعطاه كانط" نفس المعنى الذي قال به سابقوه إذ أن اتحاده المقترح بين الدول الحرة يعني توحيد الجهود من أجل تحقيق سلام عالمي دائم دون أن يكون موجها بأي حال من الأحوال ضد سيادة الدول في وضعها المستقل وهكذا فإن كل المحاولات التي يبذلها المفكرون المعاصرون باسم المواطنة العالمية ليصوروا كانط" وكأنه الأب الروحي لفكرهم، وداعية لإقامة حكومة عالمية تتجاوز القومية أنها مجرد ادعاءات لا أساس لها[2].

أكد الكثير من المفكرين أن مشروع كانط" السلمي ليس حلماً يوتوبياً بل مبني على قانون العقل ودستور الأخلاق[3] ، وهو مصاغ وفقاً مواد محدداً بسط فيها الشروط الضرورية التي تجعل انتهاء الحروب أمر ممكن، فلقد لاحظ الكثير أن كانط" قد تعلم احترام الواقع والعقل، والأخلاق وقد رأى الدكتور عثمان أمين أن هدفه ليس تحقيق دولة عالمية كما يعتقد الكثير من شارحه، وأنه ليس من نزعة مثالية خيالية بل كان هدفه تامين حقوق الفرد وتحرير العالم من أي سلطة عالمية عليا، كما كان يهدف كانط" في مشروعه عن السلام ولو شاءت الأقدار أن يقوم شعب مستنير يوم ما لتكوين

1- كانط :مشروع السلام الدائم ، مصدر سابق ،ص17.

2- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي : مرجع سابق ،ص46.

3-عثمان أمين: الفلسفة الرواقية ، ط2، مكتبة النهضة المصرية 1985 ،ص59.

جمهورية من شأنها وطبقاً لطبيعتها أن تكون نازعة للسلام الأبدي.

إنه لمشهد رائع كانط" ذلك المفكر الفيلسوف يتحدث بصوت هادئ ممزوج بالسخرية للدعائم الكبرى للحكم في بروسيا، وكأنه يقول لأصحاب السلطة في ذلك الزمن أنكم حطام الإنسانية ومستعبدوها .

أما التاريخ فمن الميسور أن نستخلص منه حجج تؤيد أو تعارض الدعوى التي أقرها كانط" في مشروعه ، لكن الحجج التجريبية لا تعارض مطالب العقل ولا يجوز" لنا أن نستنتج من أن شيء لم ينجح أبدا" إذ ليس المهم هو أن نعرف هل السلام ممكن التحقيق في أمد قريب أو بعيد إنها فكرة وتعني أنها مثل أعلى معقول ولا يجوز أن نقطع في أمره فتقرر أنه مطابق للواقع أو غير مطابق له"[1] ، فشأن فكرة السلام كشأن فكرة الله وفكرة الفضيلة والحرية وكلها تعتبر بمثابة قواعد وأسس وبها العقل يستطيع توسيع رقعة العدالة وتوطيد القرابة بين الأخلاق والسياسة وتشييد فكرة السلام.

إن نظرتنا إلى مشروع كانط في إطاره التاريخي ومن "سان فرنسسكو" ابتداء من عام ألف وتسع مئة وخمسة وأربعون وبعد قرن ونصف يمكننا القول أنه قد تحققت توجهات كانط السلمية وبطريقة غير مباشرة، أي أنه كان قريب من الحقيقة أكثر من أي شخص آخر في تلك الحقبة وكانت تنبؤاته قريبة من الواقع، ورغم أن بعض الكتاب الألمان من هيجل" الى يومنا هذا أرادوا أن يصوروا كانط في صورة الركن الركيز في مدرسة تمجد الحرب والتي ميزت الفكر الألماني العنيف، ورغم هذا يبقى مشروع كانط" للسلام العالمي والدائم رسالة بديعة تدل على عمق الفكرة، ورحابة النظرة وانسانية الهدف وعالمية التوجيه متجاوزة النزعة الإقليمية والقومية لمشروع السلام، عند كانط وحتى النداءات والأصوات التي تتعالى في العالم اليوم خاصة قرارات "اليونسكو" .

التي تدعوا الى إرساء ثقافة السلام والسلم ولا عنف واحترام الانسان ونبذ كل إشكال الاستبداد، كل هذه التوجهات تضمنها كانط" في رسالته عن السلام الدائم وفي هذا الصدد يقول جون بول

1-كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص18.

سارتر" : نحن نريد أن نضمن السلام من خلال الحرية، وأن نعيد للشعوب حريتها من خلال السلام"[1] ، وكارل ياسبرس هو الآخر يتجه نحو فكرة السلام والحرية" ويبدأ السلام الذي يعم العالم بالسلام داخل كل بيت ويبني هذا السلام على الحرية، إن السلام الباطني والخارجي لا يكون مضموناً إلا على أساس الحرية الوجودية للفرد والأفراد جميعاً[2] .

أثر المشروع الكانطي في الفلسفات المعاصرة:

إن تأثير مشروع كانط" السلمي قد امتد إلى الفكر المستقبلي ، فأفكار القرن التاسع عشر الفلسفية كانت تلف وتدور حول أرائه، فأخذت أوروبا وألمانيا تتحدث عن السلام والحرية والأخلاق والمثل العليا حتى كتب جين باول ريشتر": "لقد منح الله الفرنسيين البر والانجليز البحر والألمان امبراطورية السلام"[3] وبعد مضي بعض سنوات من ظهور مشروع كانط" السلمي ظهرت مشاريع أخرى تتضمن الدعوى الى السلام ورفع القيم الانسانية ، وعاد المفكرون والمصلحون ورجال القانون وغيرهم الى الدعوة للاقامة.

منظمة دولية عالمية تكون اداة لتحقيق الأمن والسلام، فقامت هيئة الأمم المتحدة على أنقاض عصبة الأمم التي حاولت جاهدة السعي وراء تطبيق المبادئ والقواعد التي تضمنتها مشاريع أهل الفكر إلا أنها لم تنهض بتحقيق الآمال التي كانت منوط منها نتيجة لايديولوجيات مختلفة، وتوجهات سياسية أثرت على نزاهة هذه الهيئة وهذا ما استدعى ظهور مشاريع جديدة منها "مشروع جديد للسلام العالمي" للكاتب والمفكر الأمريكي جرانفيل كلارك" ، ويقوم هذا المشروع على اقتراح أن تكون العضوية في الأمم المتحدة حقاً لأي دولة متى أرادت الانضمام الى المنظمة، وعلى أن لا يجوز لها أن تنسحب بعد ذلك كما لا يجب أن نتعرض للفصل من أي طرف معين، أما بالنسبة للجمعية العامة فهو يقترح أن تحل محل القاعدة لكل دولة صوت واحد وقاعدة تحدد الأصوات التي

1-المجلس العالمي للسلام: مجلة هواريزونس، مرجع سابق ،ص08.

2- مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة واكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي: مرجع سابق ،ص104.

3-ويل ديورانت : مرجع سابق ،ص365.

بمقتضاها منح الدول الأعضاء عدد من الأصوات يتماشى مع عدد سكانها الى الأخذ بعين الاعتبار الاقتراحات التي يراها المفكر ضرورية لتحقيق السلام.

بالاضافة الى هذا نرى معظم ما جاء فيما بعد من مشاريع ومقالات وكتب ومحاضرات في السنوات الأخيرة خاصة دعم المواقف السابقة في مجلة كندية عنوانها:

الكندي للاستماع النشرة الإخبارية ويحررها كل من "أندكوت وزوجته ماري أوشن" ، يذكر فيها بخلاصة الذي ألقاه "ألبرت لوتولي" الحائز على جائزة نوبل للسلام في ستوكهولم" سنة 1960، عن خطاب رائع يعطي للإنسان أملا في ضرورة تحقيق السلام عن طريق تجنب القنابل ونزع الأسلحة.

ونضيف الى هؤلاء العالم الامريكي الكيميائي "ليتوس بارلنج" في مؤلفاته المنشورة وخطاباته الدالة على مرتبة هذا العالم الفذ في دعوته للسلام[1].

ويتفق الكثير من دعاة السلام مع كانط" حول فكرة أن السلام ينبغي أن يتحقق على أساس ديمقراطية من المساواة الكاملة بين الأمم صغيرها وكبيرها، ويصر "برتراند راسل" على أن السلام العالمي ينبغي أن يتحقق بدون تضحيات وتنازلات من أي دولة كبيرة كانت أو صغيرة تعتدي على مصالحها الحيوية، فإذا وضعت هذه الجوانب في الاعتبار فهو لا يرى أن عقبات أمام تحقيق سلام دائم مقبول، من جميع البلدان أما عن فكرة كانط حول التدرج في مشروعه فالسلام الأبدي" مهمة أو رسالة يكون أدائها عن طريق الحلول التدريجية والتقدمية معا"[2] وهي فكرة تأثر بها العديد من المفكرين خاصة أمتاي أتزيوني" حيث يرى أن الوصول الى السلام يتم بالانتقال التدريجي خطوة بعدة خطوة من التوتر الدولي وسباق التسلح والحرب الباردة التبادل السلمي وصولاً الى السلام الدائم، ومن هنا يظهر لنا تأثير الفكر الكانطي السلمي في المشاريع اللاحقة التي سعت الى تجسيد ثقافة السلم .

1-نخبة من علماء العرب: مجلة محيط البحر، العدد7،دار المعارف،1975، ،ص309.

2- كانط: مشروع السلام الدائم، مصدر سابق ،ص139.

وخلاصة القول أن مشروع كانط للسلام الدائم سيعايش يوم"تصبح سياسة العالم سياسة أخلاقية ويوم يصبح دستور كل دولة ديمقراطياً حقا"[1] ، وفي هذا الدستور يكون الامتناع عن الحرب حقا إعلانيا يرضي جميع المواطنين دون إقصاء وبتصويت عام وسينقضي يوم" يصبح كل إنسان في كل بلد محترم في ذاته أي من حيث هو غاية مطلقة ويوم تتعلم الحكومات المختلفة أن من الإجرام والافتراء على كرامة الإنسانية أن يستعمل إنسان من الناس أو أمة من الأمم وسيلة أو آلة لمصلحة إنسان آخر أو أمة أخرى"[2] .

والناظر في فلسفة كانط" لا يرى في كل هذا بدعة أو افتراء لأنه يعلم أن الفلسفة الكانطية أبعد الفلسفات الألمانية من النزعات القومية والنزوات التعصبية ذلك أنها فلسفة إنسانية بأسمى وأرقى المعاني الإنسانية ، وإننا نرجو كما يرجو دعاة السلم، والسلام أن تستقبل البشرية عهدا قريباً لا يتحدث فيه الناس عن حرب ساخنة أو عن حرب باردة بين الشعوب، والدول بل التحدث عن سلام دائم وأبدي، وتوجيه الاهتمامات على الإنسان والحرص على حفظ الكرامة البشرية، والتطلع لمستقبل الأجيال .

مما سبق، رأينا أن الفكر الفلسفي ساهم ولا زال يساهم في ترسيخ ثقافة السلم والسلام والإعلاء من شأنهما وهذا لايعبر إلا على الوعي الذاتي والاجتماعي وذلك لتحقيق الرخاء والرفاهية والتوجه نحو حياة سعيدة وذلك عن طريق السلام .

---

1 – كانط: مشروع السلام الدائم ، مصدر سابق،ص139. 140

2– كانط :مشروع السلام الدائم ، المصدر نفسه،ص34.

الفصل الثالث:

برتراند راسل وتجاوز فكرة السلام الكانطي

المبحث الأول : الدعوة إلى السلام عند "برتراندراسل":

المطلب الأول: نشأة مؤسسة السلام عند "برتراندراسل":

"برتراند راسل" فيلسوف انجليزي لعائلة ارستقراطية انجليزية، ولد في عام 1872م، دخل كلية ترينيتي(Trinity) في جامعة كامبردج (Cambridge) سنة 1890م، تميز بذكائه الخارق وحصل على مرتبة الشرف الأولى في الرياضيات سنة 1893، وفي العلوم الأخلاقية سنة 1894، قام اثر تخرجه بالتدريس في أمريكا، ثم ذهب إلى ألمانيا حيث اختلط بالاشتراكيين والماركسيين، وحصل بعد ذلك على منصب تدريسي في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية والسياسية.(1)

وفي بداية القرن العشرين تحول "راسل" الى داعية للسلام، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى قاد "راسل" حملات ضد الحرب و غُرّم مبلغ مئة جنيه إسترليني عام 1916م لمعارضته الحرب، كما طرد من منصبه التدريسي الذي كان يشغلهُ آنذاك في جامعة كامبردج، و استمر "راسل" بعد ذلك في كفاحه من أجل السلام ما أدى هذا إلى سجنه لمدة ستة أشهر في عام 1918م(2)

ومن أشهر مواقفه في دعوته الى السلام تمثلت في إنشائه لمؤسسة السلام العالمية والتي أنشأها على نفقته الخاصة.

و قد تمثلت قمة أعمال "برتراند راسل" من أجل السلام في تلك المؤسسة العالمية التي أنشأها عام 1963م، و التي أطلق عليها اسمه، لتتولى الدعوة في مختلف أرجاء العالم للعمل من أجل حياة أفضل و أكثر أمناً لمجموعة الشعوب،(3)و قد أنشأ"راسل" هذه المؤسسة ليعلن من خلالها رأيه ضدّ الحروب الاستعمارية و لتقديم المعونة و لرفع الظلم عن الجماعات و الأفراد.

---

(1)برتراند راسل: اثر العلم في المجتمع ، ترجمة صباح صديق الدملوجي، ط1، المنظمة العربية للترجمة،بيروت،2008،ص7.

(2)برتراندراسل:المصدر نفسه، ص8.

(3) ياسين الجيلاني: مقالة بعنوان للفلاسفة مواقف إنسانية.. في الحرب و السلم، تاريخ النشر:21-06-2014، جريدة الرأي، من الموقع،m.alrai.com/article/654573 على الساعة:15:29 يوم: 14-05-2016.

– و قد أخذت هذه المؤسسة تقود الحملات ضد كل ما يهدد سلام الإنسان و حريته، وتقود المظاهرات ضد وسائل التدمير النووي.(1)

و قد انبثق عن هذه المؤسسة محكمة دولية لمحاكمة مجرمي حرب فيتنام و على رأسهم الرئيس الأمريكي "ليندون جونسون" ووزير خارجيته "دين رسك" ووزير دفاعه "روبرت ماكنمارا" باعتبارهم المسؤولين عن ارتكاب هذه الجرائم في فيتنام، حيث أنشئت هذه المحكمة في ماي 1966م في ستوكهولم عاصمة السويد، و كانت برئاسة الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" و عضوية "سيمون دي بوفوار" و صفوة من العلماء الداعين إلى السلام ، و قد أدانت هذه المحكمة بشهادة بعض علمائها الذين أوفدتهم إلى جبهة القتال في فيتنام الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لجرائمها و استخدامها للقنابل المحرمة دولياً ، و عدوانها على أهداف غير عسكرية، و بذلك تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية منتهكة لحرمة الاتفاقيات الدولية التي من بينها اتفاقية جنيف عام 1945م، و ميثاق الأمم المتحدة ، أما البعثة التي شاهدت آثار العدوان الثلاثي الإسرائيلي على مصر و سوريا و الأردن في يونيو عام 1967م فكانت برئاسة "كريستوفرفارلي" و قد أدانت البعثة هذا العدوان لاستخدامه وسائل غير شرعية و اعتدائه على الأهداف المدنية. (2)

و يعد موقف "برتراند راسل" و مؤسسة(محكمة راسل) من الحروب الفيتنامية و محاكمة مجرميها انصع و أروع صورة للفيلسوف الملتزم على وجه يستحق معه أن يكون ضمير العصر. (3)

المطلب الثاني: المنظمة الدعائية الرئيسية لأنصار السلام:

استمر "راسل" في دعوته للسلام، و بالطبع سرعان ما وجد نفسه متضافراً مع غيره من أنصار السلام على الرغم من الاختلافات بينه و بين الدّاعين لمبادئ السلام التقليدية الراسخة، و كان

---

(1)فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل، ط1، بيروت، 1993، ص35.

–انظر أيضا، سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط1،القاهرة، 1973،ص82.

(2)ياسين الجيلاني: مقالة بعنوان للفلاسفة مواقف إنسانية.. في الحرب والسلم،تاريخ النشر:21–06–2014،جريدة الرأي،من الموقع،m.alrai.com/article/654573على الساعة:15:29 يوم: 14–05–2016.

(3)فؤاد كامل:مرجع سابق، ص35

"د. هـ. لورانس" الذي ذهب للإقامة معه في كامبردج واحداً منهم كما يذكر "كينز".(1)

–و كان "برتراند راسل"على صلته بغيره من دعاة السلام حيث انضم الى لجنة (منظمة مناهضة التجنيد) و هي: "المنظمة الرئيسية لأنصار السلام"، و كان "راسل" من الناحية الفكرية مصدر الهام لمعترضي الضمير يتحدث و يكتب لجريدة (الزعامة العمالية) و يتولى أعمالها الصحفية، كما كان أيضا حلقة اتصال بين معترضي الضمير في (منظمة مناهضة التجنيد) الذين اثأروا سخط الناس عليهم بدعايتهم النشيطة ضدّ الحرب، و بين معترضي في جماعة البلومزبري الذين وجدوا أثناء الحرب ملاذاً لهم يلتجئون إليه في الاجتماعات التي تنظمها "الليدي اولولين موريل" التي تزعم زوجها " فيليب موريل" حركة أنصار السلام في البرلمان بوصفه نائبا من الأحرار. (2)

و استمر "برتراند راسل" في دعايته من اجل السلام و اعدّ للنشر تحت عنوان:(مبادئ إعادة البناء الاجتماعي) سلسة من المحاضرات تضمنت أفكارا راديكالية ليس عن الحرب فحسب، بل عن التعليم و الزواج ...الخ.

و قد قال "راسل" عن السلام بأنه مستحيل طالما أن هناك أنظمة للتعليم تعبئ الناس بالنوازع اللاشعورية للقتال و الحرب و تبعا لذلك فلابد من إعادة النظر في مقومات البناء الاجتماعي و مراجعته. (3)

كما قال في حديثه عن الحرب إن اسلم طريق يسلكه الجانبان المتحاربان هو التوصل فورا لإقرار السلام بأفضل الشروط الممكنة.

و إذا كان اللقاء المحاضرات و تأليف كتاب على هذا المنوال شيئا فان نشره في عام 1916 كان شيئا آخر، فلم يساعده على نشره سوى صلته "بستانلي انوين" و هو ناشر من أنصار السلام.

---

(1) ألان وود: برتراند راسل سيرة حياته، ترجمة رمسيس عوض، المجلس الأعلى للثقافة، ط،1998 ،ص125.

(2)المرجع نفسه، ص126.

(3)المرجع نفسه، ص130.

و قد كان" لمنظمة مناهضي التجنيد" تنظيم سري كامل آخر له نظام محكم للأسماء الحركية وهذا خشية منهم أن يقمع البوليس منظمتهم. (1)

و في عام 1938 كان "برتراند راسل" على قدر من الإيمان بالدعوة إلى السلام ما جعله يؤيد اتفاق ميونيخ، فكتب يقول: ((أن تسعة من بين كل عشرة أفراد في أمريكا يعتقدون انه كان ينبغي علينا في بريطانيا أن نقاتل بينما تظل أمريكا محايدة و هذا الرأي يضايقه)) ... و لكن بعد اندلاع الحرب و أصبحت بريطانيا مهددة بالغزو أعلن "راسل" نبذه لدعوته إلى السلام ،و صرح بأنه لو كان في سن الخدمة العسكرية للاشتراك في القتال، و قال في هذا الصدد: ((أنني لازلت أدعو للسلام، بمعنى أن صيانة السلام هي أكثر الأمور في العالم أهمية بيد أنني لا اعتقد انه يمكن أن تقوم للسلام في العالم قائمة مادام هتلر منتصرا ، أن هزيمته أذا كانت ممكنة تمهيد ضروري لإصلاح الأمور. (2)

إذا فقد كان "راسل" من أشهر دعاة السلام في القرن العشرين، حيث كان يسعى من خلال دراساته و مؤلفاته الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية إلى تأكيد قيمة السلام و دوره في تحقيق الرخاء لكافة الناس و تطوير العالم إلى ما هو أحسن ممّا عليه، و هذه النزعة في تسخير العلم و الفكر لتحقيق السلام لم تنشأ متأخرة عند "راسل" و إنما ظهرت عنده منذ صدر شبابه حين تنازل عن ثروته الكبيرة الموروثة لجمعيات البحث العلمي التي تسعى لإقرار السلام. (3)

كما أن معاصرته للحربين العالميتين الأولى و الثانية و مشاهدته للأهوال و الدمار والتخلف الذي أصاب الإنسانية بسببها، كل هذا دفعه للتوسع في الدعوى إلى السلام، فاستحق بذلك جائزة نوبل للسلام عام 1950 و عدد آخر من الأوسمة العالمية، و أيضا كان "راسل" يقف في صفّ الشعوب الصغيرة و المناضلة التي تثور ضد الاستعمار و تطالب بالحرية و السلام لذلك كان يهاجم الحكومة الأمريكية في حربها غير المتكافئة مع شعب فيتنام و يقود بنفسه المظاهرات المضادة لها. (4)

---

(1) ألان وود: مرجع سابق ،ص(137-138).

(2)ألان وود:المرجع نفسه، ص248.

(3)سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مد بولي، ط1، القاهرة، دون بلد، 1973، ص81،82.

(4)سماح رافع محمد: المرجع نفسه، ص82.

إذا فقد كان المحور الرئيسي الذي تدور حوله آراء "راسل" في مشكلات العصر التربوية و الاجتماعية و السياسية آنذاك هو ((الحرية))، و ((العدل)) ، و ((السلام))، كما انه ظل فترة من الزمن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية محبّذاً لاستخدام القنبلة الذرية حتى تكون رادعاً للاتحاد السوفييتي، و لكنه أصبح فيما بعد في طليعة الدعاة في الحملة من اجل نزع السلاح النووي، بل دخل السجن و هو في التاسعة والثمانين من عمره و قضى أسبوعا في مستشفى السجن بتهمة العصيان المدني تأييدا لحملة نزع السلاح النووي و كان ذلك عام 1961. (1)

–كما انه كان يؤمن بوحدة الجنس البشري و يدعو إليها في حماسة شديدة حيث اعتقد بان شرور العالم الحديث تنبع من التفرقة بين الشعوب ومن التعصب للقوميات، كما انه كان يرى بوجوب الاهتداء بالمبادئ الأخلاقية في مجال السياسة الدولية و ازدياد تحكم العلم في المستقبل و السيطرة على وسائل الأعلام و ذلك حتى نستطيع تجنب نشوء الحروب. (2)

–فقد أراد "راسل" إذا تطبيق الأسلوب العلمي في التفكير حتى على المنازعات في مجالات السياسة، و ذلك بمعالجة الخلافات السياسية تماماً كما يعالج الإنسان مسألة رياضية اي الابتعاد عن الذات و إخضاع هذه الخلافات لمنطق العقل فهذا هو الضمان الوحيد للوصول إلى الحقيقة الموضوعية التي يمكن للإنسان أن يتوصل إليها.**(3)**

حيث كان يرى بأنه ليس هناك سوى وسيلة واحدة لتأمين العالم ضد الحروب وذلك بالاّ يكون سوى قوة مسلحة واحدة في العالم تمتلكها هيئة الأمم المتحدة التي ينبغي أن تتحول إلى حكومة عالمية، كما يجب أن تحدد هذه الحكومة العالمية قواعد معينة لاستخدام قواتها المسلحة و أهمها انه لابد إذا حدث نزاع بين دولتين أن تخضع كل منهما للحكومة العالمية و يتطلب هذا الأمر سيطرة كاملة على التربية بحيث لا يسمح لأي بلد بأن يُعلم في مدارسه أيّة نزعة قومية عدوانية، كما يجب أن تكون الكتب الخاصة بتعليم التاريخ قد حظيت بموافقة السلطة الدولية و ثبت أنها خالية تماماً من الأكاذيب القومية. (4)

---

(1)فؤاد كامل،مرجع سابق، ص19.

(2)المرجع نفسه، ص35.

(3)رمسيس عوض: برتراند راسل المفكر السياسي، الدار القومية للطباعة و النشر، د ط، القاهرة، 1966،ص10.

(4)المرجع نفسه، ص10.

إذا فقد كان "برتراند راسل" شديد التحمس لإقامة حكومة عالمية لها دستورها الذي تسير بمقتضاه، و يرى أن هذه الحكومة العالمية إقرارا للسلام، وحلاً لحالة الفوضى الراهنة التي تسود عالمنا الممزق، و السببان اللذان يدعوان إلى إقامة حكومة عالمية حسب " برتراند راسل" هما:

-أولا: منع الحرب، و ثانياً: تحقيق العدالة الاقتصادية بين الأمم المختلفة و السكان المختلفين، و لكنه يرى بأن الأولوية في الاهتمام يجب أن تنصرف إلى تحقيق إقامة الهدف الأول لان الحروب اشدّ خطراً على الإنسان من أية مظالم أخرى. (1)

فقد كان "برتراند راسل" بين السلام في العالم و ضرورة التنازل عن السيادة المطلقة لكل الدول، فيقول هنا: "من غير الممكن ضمان السلم في العالم أو البت في المسائل العالمية طبقاً لقانون دولي ما لم تتنازل الدول عن سيادتها المطلقة في علاقاتها الخارجية و تدع الفصل في مثل هذه الأمور في أيدي إدارة حكومة عالمية تشريعية و قضائية معاً".(2) كما يرى انه يجب علينا في الحال أن نبحث لأنفسنا عن قومية عالمية، فالقومية القُطرية في نظره هي بعينها الخطر الأكبر الذي يواجهه الإنسان في عصرنا الحاضر، ولهذا يجب أن يتعلم الناس وعي المصالح العامة الموهومة التي تختلف عليها الأمم، ومن جهة أخرى فإنّ "راسل" لا يطالب بالكونية المطلقة و اختفاء كافة الخصائص القومية، فالروح العالمية التي يرغب في رؤيتها روح أخرى مضافة إلى حب الوطن، و ليست شيئاً مأخوذاً منه، كما لا يعني حديث "راسل" عن ضرورة التنازل عن جزء من سيادة الدول لصالح المجتمع الدولي أنه يعني التدخّل في الشؤون الداخلية، فلا تتدخل دولة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى. (3)

كما تعرض "راسل" لتجارب التنظيم الدولي المعاصرة كمنظمة الأمم المتحدة و المنظمات الإقليمية المختلفة، فرأى بأنها ما تزال بعيدة كل البعد عن تمثيل السلطة العالمية المرجوة، اذ أنها مازالت تعترف بحق السيادة المطلقة لأعضائها ، وذكر أن هذا العيب كان في تجربة

---

(1) رمسيس عوض: مرجع سابق، ص150.

(2)نجاح محسن: الحكومة العالمية عند برتراند راسل، دار الفتح للإعلام العربي، ط1، جمهورية مصر العربية،2003، ص80.

(3)المرجع نفسه، ص(82-85)

عصبة الأمم المتحدة أوضح منه في تجربة الأمم المتحدة، كما انتقد "برتراند راسل" النظم السياسية الحاضرة والمتمثلة في الدول القومية ذات السيادة لان لكل منها قواتها المسلحة، وكل منها تعتبر الحكم النهائي فيما يتعلق بحقوقها في أي نزاع وهذا سوف يقود العالم الى الحرب، ويؤكد هنا "راسل" انه ليس هناك سوى طريقة واحدة يمكن أن نجعل بها العالم بمأمن من الحرب، وذلك بإنشاء قوات مسلحة دولية واحدة تحتكر جميع الأسلحة الخطيرة، وينبغي أن تكون القوات المسلحة للحكومة العالمية هي القوات المسلحة الوحيدة التي يسمح لها بالوجود، ويمكن أن تعد قوة بوليسية تناط بها مهمة ردع أفراد المجتمع الدولي ومنعهم من استخدام القوة بشكل غير مشروع إزاء بعضهم البعض، كما يرى بأنه بتشكل مثل هذه الحكومة فان استخدامها لقواتها سوف يكون أمرا مؤقتا، إذ سرعان مايرسخ سلطانها في وجدان الإفراد المجتمع الدولي وتصبح طاقتها والامتثال لأوامرها ونواهيها أمرا مستقرا بمرور الوقت كما هو الحال داخل الدولة، وفي هذه المرحلة يصبح وجود القوات المسلحة للحكومة العالمية أمرا غير ضروري. (1)

(1) نجاح محسن:مرجع سابق، ص(86-112)

المبحث الثاني: مقاربات نقدية لفكرة السلام عند "برتراندراسل" و"ايمانويل كانط" :

المطلب الأول : نقد فكرة السلام عند "برتراند راسل":

وإذا كان "برتراند راسل" قد استطاع أن يكتسب عطف العالم الحر الشريف في دفاعه عن السلام إلا انه أيضا قد كسب عداوة الغالبية العظمى من الناس من الناحية السياسية والفكرية، فلقد اكتسب سخط المعسكر الغربي والشرقي معا فالغرب المسيحي يبغضه لأنه يدعو إلى التشكك كما يبغضه لان الغرب استعماري في حين أن"راسل" يفضح الاستعمار ويسخر منه. والغرب يبغضه أيضا لان نظامه يقوم أساسا –مهما حاول تلطيفه– على الرأسمالية والاستغلال أما "راسل" فيناصب الرأسمالية العداء ويدعو للاشتراكية.

أما معسكر الشيوعية فيحمل "لبرتراند راسل" عداوة لاتقل عن عداوة الغرب له فهو يعتبره أجيرا للبرجوازية الغربية، والسبب في بغض الشيوعيين له يرجع الى الحرب الشعواء التي يشنها على أجهزة الدولة الشيوعية القائمة على القسر والاضطهاد، والى وصفه لها بضيق الأفق والتعصب الأعمى ومناهضة البحث العلمي المنطلق، وبالاستبداد البيروقراطي، والنظام الشيوعي يكره "راسل" أيضا لأنه يرفض الإيمان بان الفرد لايعدو أن يكون ترسا في الآلة الاجتماعية

الضخمة(1)

– كما يقول الكاتب "رمسيس عوض" في كتابه "برتراند راسل المفكر السياسي" أيضا "إذ قلنا أن راسل يدافع عن السلام باي ثمن وتحت أية ظروف صدقنا وكذبنا في وقت واحد، صدقنا لما نعرفه عن تاريخ كفاحه المجيد وتضحيته العظيمة من اجل السلام، وكذبنا لان "راسل" يغترف بشرعية بعض الحروب فهو لايحب مثلا أن يرى

(1) رمسيس عوض:مرجع سابق، ص12 .

أجهزة الحضارة تتفوض أمام جحافل البربرية والهمجية كما حدث مثلا مع الدولة الرومانية. (1)

ويقول أيضا "رمسيس عوض": "هنا أن السبب فيما يبدو تناقضا هو أن بصيرته النفاذة تجعله يرى وجهي المسالة فهو ابعد مايكون عن التفكير بأسلوب هذا ابيض، وذلك اسود، لأنه يرى البياض والسواد معا في وقت واحد....." (2)

–ومن بين الاتهامات التي تعرض لها "برتراند راسل" دائما اتهامه بالتناقض لأنه عارض الحرب العالمية الأولى في حين انه أيد الحرب العالمية الثانية، ولكنه ليس هناك من شك على الإطلاق ان نقاده جانبهم الصواب هذه المرة فقد كان "راسل" محقا فيما ذهب إليه من أن "الحرب أسوء من أن نلقى هزيمتنا على يد القيصر، ولكن أن يهزمنا هتلر فذلك أسوء من الحرب"، أن "راسل" لم يقل أبدا أن الحرب تنطوي على خطا أخلاقي تحت كافة الظروف ومن ثم فإن معارضته لها لم تكن مسألة مبدأ.(3)

(1)ارمسيس عوض،مرجع سابق، ص13.

(2)المرجع نفسه، ص13 .

(3)الان وود: مرجع سابق ،ص (121–123).

المطلب الثاني: نقد فكرة السلام عند "ايمانويل كانط":

لقد كان الفيلسوف الألماني "إيمناويل كانط" أكثر عناية بمسألة السلم وواضع الاصطلاح الألماني (volkeruund) الذي أطلق بعد وفاته بنحو قرن وربع على (عصبة الأمم المتحدة) الحديثة، وله كتيب مشهور نشره سنة (1795م) بعنوان مشروع السلام الدائم حيث كان يعلن فيه أن إنشاء "حلف بين الشعوب" هو السبيل الوحيد للقضاء على شرور الحروب وويلاتها.

ويكتب "راموند جوس" (Raymond Gauss) يقول: كرس كانط مشكلة "السلام الدائم" بمقال يستحق التفكير، ولكن أعماله تفترض مفهوما للعقل لا يمكن الدفاع عنه، اعتقد كانط "بأنه يوجد عقل مشترك لكل المجموعات البشرية يمكن ان ينتج قواعد معيارية محددة، ولكن مثل هذا العقل لايوجد، ان النزاعات في أفغانستان والشرق الأوسط أظهرت لنا برهان ساطع بأن العقل العملي ليس بالإطلاق أبدا، وإنما على خلاف ما اعتقد "كانط" يظهر دائما في السياقات الثقافية كما أن الإرهابي لايمكن دحره بالحجة والبرهان فقط، فهذا أيضا واضح، ولكن الأكثر خطورة بتاتا لانستطيع أن نفذ بأنه ليس "عقلانيا" يستطيع المرء أن يشجب الإرهاب بالقسوة واللاإنسانية والتعصب.....الخ ولكن من الذي يستطيع أن يظهر بأن سلوكهم ليس "عقلانيا"؟. (1)

– ويقول "برتراند راسل" في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية: "أن نشاط ذهن كانط ونضارته في الشيخوخة لتجليان في رسالته عن "السلام الدائم" (1795)، ففي هذا الكتاب يدعو إلى اتحاد بين دول حرة يربط بينها ميثاق بتحريم الحرب، فالعقل على حد قوله يدين الحرب إدانة تامة ولا يستطيع أن يمنع الحرب إلا حكومة دولية فقط ويقول انه ينبغي أن يكون الدستور المدني للدولة المكونة للاتحاد دستورا جمهوريا ولكنه يعرف هذه الكلمة على أنها تعني أن تكون الهيئات التنفيذية والتشريعية

---

(1) حامد فضل الله: مقالة بعنوان: كانط التنوير، المواطنة ، السلام، من الموقع الالكتروني: www.sudanile.com يوم:16-05-2016 على الساعة:16:33.

منفصلتين، ولكنه لا يقصد بهذه ألا يكون هنالك ملك، فهو في الواقع يقول أن أسهل الأمور الحصول على حكومة كاملة في كنف الملكية .....زمن ثم تكون الإرادة الكلية هنا متناقضة مع ذاتها ومع مبدأ الحرية. (1)

– و من خلال قراءة مشروع "كانط" حول السلام فيبدو انه إنسان مفرط في إنسانيته، فهو يثق في الإنسان ثقة مطلقة، وفي بعده الأخلاقي و العقلي يعوّل عليهما كثيراً في ضمانة السلام، الأمر الذي يجعل مشكلة السلام عنده مشكلة أخلاقية ذلك أن الأمل في سلام دائم و ابدي يسود العالم و يستمر بصورة لا نهائية مرهون كله بالتربية الأخلاقية هذا من جهة، و من اجل تكوين العقل النقدي أي العقل الراشد المستنير من جهة أخرى على اعتبار أن تشريع السلام الدائم يقضي الاحتكام الى سلطان العقل، و أن تعيين هذا السلام هدف إنساني نبيل يوجب علاوة على ذلك الإقرار بأخلاقيات التواصل بين الشعوب و الدول حتى في حالة الحرب. (2)

"فكانط" إذا يعرض مشروعه – السلام الدائم– وفق إستراتيجية العقلانية الكونية التي تزدري كل ما هو جزئي و متغير، و تبحث عن منطلق يتجه نحو الشمولية، و لعل الدليل على ذلك من وجهة النظر الفيلولوجية هو عنوان الكتاب في حد ذاته: "نحو السلام الدائم".

– فالسلام الدائم هو الحافز الوحيد لبلوغ السياسة الكونية، و ما يتبعها من مفاهيم إنسانية (مواطنة كوسم وسياسية، قوانين سياسية، تاريخ عالمي، مجتمع عالمي أخلاقي ...الخ).

---

(1)برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، جزء3، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الدار المصرية للكتاب، الاسكندرية، 2002،ص326،325.

(2) سمير بلكفيف:مقالة بعنوان: نحو عالم افضل قراءة جديدة في مشروع السلام الدائم لكانط، دار ناشري للنشر الالكتروني، من الموقع الالكتروني:www.nashiri.net/authors/109/html في يوم:17-05-2016 على الساعة:15:33.

و الحقيقة أن مفهوم السلام الدائم ما تقره أطروحات الفكر الغربي من مواثيق و دساتير التي ينتهكها هو قبل أي كان و ذلك لأنه هو الذي ينتج نقيضه (الحرب)، وإنما المقصود هنا بالسلام شكل من إشكال الحقيقة و السلام الدائم المقصود هنا لا هوية له، فهو يتجاوز كل هوية(1).

(1) سمير بلكفيف: المقالة السابقة.

خاتمة

الخاتمـــــة:

بعد استعراضنا لفكرة السلام عند بعض أعلام الفكر الفلسفي الإنساني عامة وعند ايمانويل كانط خاصة يتضح لنا أن هذه الفكرة أصيلة وعميقة تتصل اتصالا وثيقا بالطبيعة الفطرية للإنسان الجانحة للسلام والسلم التي ترفض كل أشكال العنف والاضطراب,إن السلام قيمة أخلاقية أكثر منها قانونية ينظم العلاقات بين البشر, بل هي موروث ثقافي واجتماعي ساهمت في بلورته تعاليم الديانات السماوية وكذا دعاة السلام من المفكرين والفلاسفة ذوي النزعة الخيرة والتي لانشك أن ايمانويل كانط أحد هؤلاء وأيده في ذلك بيرتراند راسل,حيث تجاوز من خلال مشروعه والذي هو موضوع بحثنا الحدود الإقليمية وكل أشكال التميز الديني والعرقي . فجاءت رسالته دعوة للإنسانية جمعاء ولتحكيم العقل والحكمة والضمير الخلقي لتجنب إراقة دماء البشر,ورغم أن فلسفة كانط عموما تعبر عن مرحلة تاريخية إلاأنها يمكن اعتبارها مرجعا وسبيلا لتجاوز كل أنواع النزاع والعنف والقوة في تغليب أفكار على أفكار أخرى.وحتى الأصوات والنداءات التي تتعالى اليوم وخاصة مجلس الأمن الدولي ومنظمة اليونسكو حيث نجد مثلا مقررات ونداءات منظمة اليونسكو في إعلاناتها لحقوق الإنسان نفحات من فلسفة كانط ومن فلسفات أخرى وكلها تتجه نحو إرساء ثقافة السلام وتجسد ذلك في البيان الصادر عن هذه المنظمة الذي تعبر من خلاله عام 2000سنة دولية لثقافة السلام واعتبار العشرية الأولى من هذا القرن عشرية عالمية للسلم والسلام في العالم.

فضلا عن مبادئها التي تدعو لاحترام الحياة الإنسانية ونبذ العنف بجميع أشكاله وتلح على الاستقلالية السياسية للدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية والتخلي عن دوافع العنصرية والتميز العرقي مع الاعتماد على التربية والتعليم كوسيلة لترسيخ ثقافة السلام إلى جانب ضرورة فتح الحوار واعتماد الديمقراطية .

إن السلام باعتباره محركا حضاريا ووسيلة للارتقاء بالإنسانية وباعتباره مادة مبدئية لأي انطلاق أوتوجه سياسي أوأخلاقي , كل هذا يلزم على المفكرين من دعاة السلام المساهمة الفعالة لترسيخ ثقافة السلم التي جاءت تتويجا لنضال الفلاسفة الذين سجل لهم التاريخ دفاعهم عن حقوق الإنسان والحريات,بل نضالا ودفاعا عن الفطرة الإنسانية والتي بطبيعتها نزوعية إلى السلام وتحمل بذور الخير في ثناياها .

إن مشروع كانط السلمي من خلال مبادئه وتوجهاته أقرب إلى تعاليم الشريعة الإسلامية والرسالة المحمدية,حيث تعتبر دعوته بيانا إنسانيا وتهذيبا روحيا وإصلاحا دنيويا وصيانة للجوارح وتقويم للاعوجاج بل أكثر من هذا دعوة للتآخي والسلام .

المصادر والمراجع

المصـادر:

1- كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، ترجمة نازلي اسماعيل ومحمد فتحي الشنيطي، تقديم عمر مهيبل،دار موفم للنشر 1991

2- كانط، مشروع السلام الدائم، ترجمة عثمان أمين مكتبة الأنجلو المصرية، 1967

3- كانط، تأسيس ميتافيزقيا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاوي، دار القومية للطباعة و النشر القاهرة1965

4-برتراندراسل تاريخ الفلسفة الغربية،جزء3،ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الدار المصرية للكتاب، الاسكندرية، 2002

5- برتراندراسل، اثر العلم في المجتمع، ترجمة صباح صديق الدملوجي، ط1، المنظمة العربية للترجمة بيروت 2008

المراجــع :

1- الان وود، برتراندراسل سيرة حياته، ترجمة رمسيس عوض، المجلس الاعلى للثقافة، دط،1998

2- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، دار الفكر العربي القاهرة،ط1 1971

3- توماس هندري،أعلام الفلسفة الحديثة، ترجمة هنري أمين،القاهرة ط1، 1964

4- جرانفيك كلارك، مشروع جديد للسلم العالمي، ترجمة محمد الشنيطي، دار المعرفة ط1 القاهرة 1961

5- جون جاك روسو،خطاب في أصل التفاوت، ترجمة عادل عنتر،سلسلة الروائع الانسانية، دار المعارف القاهرة 1954

6- رمسيس عوض، برتراندراسل المفكر السياسي،الدار القومية للطباعة والنشر،دط،القاهرة، 1966

7- رفقي زاهر،أعلام الفلسفة الحديثة، ط1،دار المطبوعات الدولية 1979

8- سماح رافع محمد،المذاهب الفلسفية المعاصرة،مكتبة مدبولي،ط1،القاهرة، 1973

9- عبد الرحمن بدوي، إيمانويل كانط، وكالة المطبوعات ، الكويت، الطبعة الأولى، 1977

10- علي عبد المعظمي محمد،اتجاهات الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1993

11- عثمان أمين،الفلسفة الرواقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية 1985

12- فؤاد كامل،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل ، ط1،بيروت، 1993

13- كارل ياسبرس،فلاسفة إنسانيون، ترجمة عادل العوا ،منشورات عويدات، الطبعة الأولى1975

14-كارل ياسبرس،القنبلة الذرية ومصير الانسان، قدم لها الحاج كمال يوسف منشورات عويدات بيروت ، ط11959

15- محمد حمدي أقرون، دراسات في الفلسفة الحديثة ، دار الفكر العربي، ط2 1993

16- ميرلو بونتي ، ذلك السلام الصعب ترجمته ونشرته دار اليقظة العربية،دمشق 1963

17- محمد عبده،الاسلام والنصرانية بين العلم والمدينة ، قدمه برهان غليون ، دار موفم للنشر الجزائر ط2 1990

18- محمود محمد ربيع ، الفكر السياسي الغربي فلسفاته ومناهجه من أفلاطون الى ماركس ، مطبوعات جامعة الكويت 1994

19- مجموعة من أساتذة من معهد الفلسفة بالاتحاد السوفياتي ، مشكلة الحرب والسلام ، ترجمة شوقي جلال وسعد رحيمي ، دار الثقافة الجديدة 1976

20- نجاح محسن ، الحكومة العالمية عند برتراندراسل ، دار الفتح للإعلام العربي ، ط1، جمهورية مصر العربية ،2003

21- ويل ديورانت قصة الفلسفة مكتبة المعارف بيروت، الطبعة السادسة عام1988

المعاجم:

1-المنجد في اللغة و الاعلام،الطبعة الثلاثون ، دار المشرق بيروت 1988

2- عبد الرحمن بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، الجزء الثاني المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى 1984

الدوريــات:

1- المجلس العالمي للسلام ، هيلسنكي" ملحق العدد، 50-51، مجلة هواريوزنس ، أغسطس 1955

2- نخبة من علماء العرب،مجلة محيط البحر،العدد7، دار المعارف،1975

مواقع الانترنت:

1- حامد فضل الله ، مقالة بعنوان: كانط التنوير، المواطنة ، السلام ، من الموقع الالكتروني: www.sudanile.com يوم:16-05-2016 على الساعة:16:33

2- سمير بلكفيف ، مقالة بعنوان: نحو عالم افضل قراءة جديدة في مشروع السلام الدائم لكانط ،دار ناشري للنشر الالكتروني ، من الموقع الالكتروني:
www.nashiri.net/authors/109/html في يوم:17-05-2016 على الساعة:15:33

3- ياسين الجيلاني ، مقالة بعنوان للفلاسفة مواقف إنسانية.. في الحرب والسلم ، تاريخ النشر:21-06-2014 ، جريدة الرأي ، من
الموقع،m.alrai.com/article/654573على الساعة:15:29 يوم: 14-05-2016

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

اهـــــداء

شكر

مقدمة أ-ج

الفصل الأول : كانط وثقافة السلام

المبحث الأول: عرض موجز لحياة كانط.....4

المطلب الأول : النشأة والتكوين.....4

– المطلب الثاني: أشهر آرائه الفلسفية ومؤلفاته.....6

المبحث الثاني: في تحديد المفهومين.....10

– المطلب الأول: لغة.....10

– المطلب الثاني: اصطلاحا وعند بعض المفكرين.....11

المبحث الثالث: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي.....15

– المطلب الأول: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي اليوناني..... 15

– المطلب الثاني: ثقافة السلام في الفكر الفلسفي الحديث 16

الفصل الثاني: السلام عند كانط

المبحث الأول: السلام في فلسفة كانط.....20

– المطلبالأول: مفهوم السلام عند كانط من خلال مشروعه.....20

– المطلب الثاني: نحو السلام الدائم.....24

المبحث الثاني: السلام الدائم.....31

– المطلب الأول: كيفية ضمان السلام الدائم في نظر كانط..... 31

– المطلب الثاني: تقييم المشروع الكانطي.....37

الفصل الثالث : برتراند راسل وتجاوز فكرة السلام الكانطي

المبحث الأول : الدعوة إلى السلام عند "برتراند راسل".....45

– المطلب الأول: نشأة مؤسسة السلام عند "برتراند راسل.....45

– المطلب الثاني: المنظمة الدعائية الرئيسية لأنصار السلام.....46

المبحث الثاني: مقاربات نقدية لفكرة السلام عند "برتراندراسل" و"ايمانويل كانط".....52
- المطلب الأول : نقد فكرة السلام عند "برتراند راسل ".....52
- المطلب الثاني: نقد فكرة السلام عند "ايمانويل كانط ".....54
خاتمـــــــــة.....58
قائمة المصادر و المراجع.....I-IV

قائمة المحتويات